محمد الكاتب

كيف تسعد أبناءك



مؤسسة
دار البيان العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

كيف تسعد أبناءك

وتربيهم بنجاح؟

محمد الكاتب

كيف تسعد ابناءك
وتربيهم بنجاح؟

دار البيان العربي
بيروت - لبنان

دار البيان العربي

ص ـ ب ١٥٥٢٣٩
بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء :

« اللهَمّ ومنَّ عليَّ ببقاء وُلْدي . .

« وبإصلاحهم لي ، وبإمتاعي بهم . .

« إلهي أمدد لي في أعمارهم ، وزد لي في آجالهم .

« وربِّ لي صغيرهم . .

« وقوِّ لي ضعيفهم . .

« وأصحّ لي أبدانهم ، وأديانهم ، وأخلاقهم . .

« وعافهم في أنفسهم ، وفي جوارحهم . .

« وفي كل ما عُنيتُ به من أمرهم . .

« وأدرر لي وعلى يديّ أرزاقهم . .

« واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء . .

« سامعين مطُيعين لك . .

« ولأوليائك محبين مناصحين . . .

« ولجميع أعدائك معاندين ، ومبغضين . .

« آمين . .

« اللهم أشدد بهم عضدي . .

« وأقم بهم أودي . .

« وكثر بهم عددي . .

« وزيّن بهم محضري . .

« واحي بهم ذكري . .

« واكفني بهم في غيبتي . .

« وأعني بهم على حاجتي . .

« واجعلهم لي محبين ، وعليَّ حَدِبِ بين مقبلين .

« مستقيمين لي . .

« مطيعين غير عاصين ، ولا عاقين . .

« ولا مخالفين ولا خاطئين . .

« وأعني على تربيتهم . .

« وتأديبهم ، وبرهم . .

« وهب لي من لدنك معهم أولاداً ذكوراً . .

« وأجعل ذلك خيراً لي . .

« واجعلهم عوناً على ما سئلتك . .

« واعذني وذريتي من الشيطان الرجيم »[1]

---

(١) الصحيفة السجادية / ٢٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة على رسوله وأهل بيته الطاهرين .

وبعد :

هـذا الكتاب نـافع ورائـع ، ليس في أسلوبـه الممتـع الجيـد ، بـل في موضوعه الحيّوي الهام أيضاً .

وهـو جديـر بالقـراءة من قبـل كل أب ، وكـل أم وكل من يتهيـأ لتحمل مسئولية عائلته في يوم من الأيام ، لأنه يضع خارطة العمل التربـوي السليم ، وطـريقتهـا الصحيحـة ، بين يـدي القـارىء . كمـا أنـه يكشف عن النتـائـج الحسنـة ، أو السيئة التي تتـرتـب على مواقف الآبـاء والأمّهات من أطفـالهم ، حسب الطريقة الصائبة أو الخاطئة التي يتبعونها . .

وأهم عنـاصـر القـوة في الكتـاب ـ كمـا لاحـظت ـ تتلخص في الأمـور التالية :

أولاً ـ أنه يعتمد على تعليمات القرآن العـظيم والسنة النبـوية الكـريمة ، وكلمات المعصومين ـ (ع) كأساس للتربية الصـالحة . فهـو يعلّمنا كيف نـربي أولادنا ليس لكي يكونوا مواطنين سعداء في دنياهم فحسب ، بـل لكي نكسب بهم ، ويكسبوا بنا الآخرة أيضاً . .

ثـانياً ـ أنـه يستخرج من عبـر الأحداث ، التـاريخيـة ، أو المعـاصـرة ،

شواهد على ما يقترحه من أساليب وطرق للتعامل مع الأطفال . ولاشك أنّ للتجربة قيمتها الحضارية ، ودلالتها التي لا يرقى إليها الشك ، بإعتبار ، أن التجربة أكبر برهان ـ كما يقول المثل المعروف ـ

ثالثاً ـ أنه يحلّل المسائل المختلفة ، ويتعمق فيها ، وفق رؤى صائبة في كثير من الأحيان ، وذلك بأسلوب سهل يفهمه الجميع .

وهو بالإضافة إلى ذلك ينصب من نفسه مدافعاً عن الأطفال ، بإعتبارهم الأجدر بالرعاية ، والأقل قدرة على التعبير عن الذات برغم ، ما يتحمل منهم الآباء والأمهات من المشاكل . .

هذا عن الكتاب . .

أما المؤلف ، فإنني أعرفه ـ منذ زمن غير قصير ـ عن قرب ، وأستطيع أن أقول أن آمالاً كثيرة تتعلق به في المستقبل ، لما يتمتع به من روح الاخلاص في العمل ، والجد في أداء المسؤلية ، وتقبّل الأدوار الصعبة ، بالإضافة الى كفاءاته الكثيرة التي يكشف هذا الكتاب عن واحدة منها فقط . .

فهو ليس كاتباً إجتماعياً فحسب ، بل أنه قصّاص إسلامي ، ورجل خطابة ، وتحقيق ، بالإضافة الى انه رجل المهمات الإدارية أيضاً .

أرجو من الله العلي القدير ، أن يسلك به مسالك الصالحين من عباده ، ويهدي الشباب للأخذ بآرائه ، وأن لا يحرمني من صالح دعائه . انه قريب مجيب الدعاء .

٢٠/ شعبان /١٤٠٨هـ

هادي المدّرسي

إعرف هذا . . أولاً !

في التاسع من شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٢ هجري إعتقل في إحدى المدن العربية لص محترف ، بعد أن سرق العديد من المنازل والمحال التجارية ، وأحدث اللوعة في قلوب المواطنين ، لأنه لم يكن يسرق وحسب ، بل كان يتوسل بالقتل ـ أيضاً ـ حالما كان يشعر بالخطر وإفتضاح أمره .

وبعد ان وقع في شباك رجال الشرطة وأحكموا الطوق عليه ، إقتادوه الى السجن ، وبعد أيام مضت أحالوه الى المحكمة والقضاء الجنائي ، حيث صدر الحكم عليه بالموت شنقاً .

وجيء به ألى ساحة عامة في وسط المدينة ، وكان الناس يضربون حوله شريطاً بشرياً ، وهم يشاهدون الحبل المتدلي الذي سيقضي على حياة هذا السارق الخطير بعد لحظات .

وقبل أن يذوق الموت ، طلب الجاني من رجال الشرطة أن يحضروا له قلماً وورقة ، فأحضروا له ذلك وعكف على كتابة بعض السطور ، وقد جاء فيها :

« هذا ما دفعني إليه والدي . . الذي تركني منذ الطفولة ولم يحسن أدبي وتربيتي ! »

والمغزى الذي أريد الوصول إليه من هذه القصة أن الأب هـو المسؤول الأول والأخير عما يفعله الأبن ، ولا يعني ذلك بالطبع تبـرئة سـاحة الأبنـاء ، إنما الذي نريد قوله أن الآباء يتحملون القسم الأوفر من المسؤلية عما ولّوا عليه أبناءهم !

يقول الإمام السجاد (ع) :

وأما حق ولدك :

فأن تعلم أنه منك . . ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره !

إن عمل إبنك عملاً حسناً قال له الناس :

رحم الله أباك !

وإن عمل سوءاً قال الناس : لعن الله أباك !

وإنـك مسؤول عمـا وليتـه بـه من حسن الأدب والـدلالـة على ربـه عـز وجل ، والمعونة على طاعته .

فاعمل في أمـره عمل من يعلم أنـه مثاب على الإحسـان إليه ، معـاقب على الإساءة إليه» . (١)

* * *

وإليك المثال التالي :

طلب أحـد الرجـال حمالاً ، لكي يعينـه على حمل البضـاعة ، مقـابـل بعض الثمن . وفي أثنـاء الطريق وفيمـا كان الحمـال ينوء بـالحمـل الثقيـل ،

---

(١) تحف العقول ص٢٦٣ .

إلتفت إليه الرجل وسأله إسمه !

ولما أجاب الحمال ، توقف الرجل عن المشي ، ورفع حاجبيه مندهشاً ، وقال بإستغراب :

- هل أنت - حقاً إبن ذلك الرجل العظيم ؟ !

قال الحمال :

- نعم . . أنا إبنه .

ولما تأكد الرجل ان هذا الحمال هو إبن ذلك الرجل العظيم والشخصية المرموقة في العلم والمعرفة تفوه قائلاً وهو يهز رأسه :

- نعمّ الأب . . وبئس الولد ! !

لكن الحمال رد قائلاً :

- لا تقل هكذا . . بل قل : نعمّ الجد . . وبئس الأب !

قال الرجل :

- لماذا وكيف ؟ !

قال الحمال :

- ان والدي لم يبلغ تلك الدرجة من العلم والمعرفة وعظمة ما وصل إليه . . لولا أن جدي كان قد بذل الجهد والوقت في تربيته وتعليمه ، والعمل الجاد في سبيل إيصاله الى هذه الدرجة .

وأضاف الحمال :

ـ ولكن أبي . . ولإهماله بابنائه . . تسبب في ما تجد من سوء ما وصلت إليه !

* * *

وخذ مثالاً آخر هذه القصة التالية : ذات يوم ، وفيما أنا أقطع الطريق عائداً الى البيت ، مررت ببعض البيوت الواقعة على الطريق وإذا بي أسمع شجاراً وصراخاً ، ينبعث من أحد هذه الدور ويتعالى الى عنان السماء !

أثار ذلك علامات الإستغراب في مخيلتي ، فتوقفت عن المشي وتصفحت وجوه من كان يقف من المارة الذين قد إندهشوا للأمر أيضاً .

وفيما نحن كذلك إنفرجت الباب ، وخرج فتى وهو يلهث ، وكان على وجهه آثاركدمات ، وبعض الجروح ، وكأنه قد نال ضرباً باليمين ، كانت الدموع تنهمر من عينيه فقال مستغيثاً : النجدة . . أسرعوا !! صراع بين أخي ووالدي .

فدخلت البيت مع من كان يقف من الرجال لإنقاذ الموقف ، حيث كان الأب والإبن في عراك وشباك محتدم وسرعان ما توسطناهم ، وفصلنا بينهم .

أخرج بعضنا الإبن الى خارج البيت ، وجلسنا عند الأب نهديء روعه ، بينما كان هو يلهث ويتنفس بقوة ، ثم تفوه ببعض الكلمات المتقطعة وقال وهو يلوم نفسه : هذه تربيتي . وهذا صنيع يدي !!

لقد أخطأ هذا الرجل وأصاب معاً فإنه أخطأ حينما لم يحسن تربية إبنه ، وأصاب عندما إعترف بذنبه ، ووجه اللوم والمسؤولية إلى تقصيره في التربية .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما » .

ويقول أيضاً : « رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما »[1] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « . . يحفظ الأبناء بصلاح آبائهم »[2] .

إذن الآباء مسؤولون عن أبنائهم ، وبالتالي فإن تربيتهم الحسنة أو السيئة ، تعكس نتائجها عليهم ، مثلما هو الزارع ، فلا يمكن أن يزرع الحنظل ويجني الريحان .

والأبناء مثل الواحة الخصبة ، فإن أحسنت حرثها وأجهدت نفسك لإروائها بماء السواقي ، وبذلت العناية بزرعها حتى يترعرع ويشب حينئذ ستحصد نتاجها الخير ومحصولها اليانع . وإلا فلا يمكن أن تنتظر منها إلا أرضاً جدباء مقفرة ، لعلك إن مشيت عليها تعثرت بأحجارها وسقطت في حفرها ، ومستنقعاتها الآسنة .

* * *

وإليك هذا الدليل ، على أن الآباء يجنون نتاج حسن تربيتهم إن هم أحسنوا ذلك :

جاء في الحديث القدسي :

« مر عيسى عليه السلام بقبر يعذب صاحبه ثم مر به من قابل] بعد

---

(١) المستدرك ٢ ص٦٢٥ .

(٢) البحار ج١٥ ص١٧٨ .

عام] فإذا هو ليس يعذب .

فقال :

ـ يا رب ! مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذب ومررت به العام ، فإذا هو ليس يعذب ؟

فأوحى الله إليه :

يا روح الله ! إنه أدرك له ولد ، فاصلح طريقاً ، وآوى يتيماً ، فغفرت له بما عمل إبنه»[1] .

يقول النبي (ص) :

« خمسة في قبورهم وثوابهم يجري الى ديوانهم :

من غرس نخلاً . .

ومن حفر بئراً . .

ومن بنى مسجداً . .

ومن كتب مصحفاً . .

ومن خلف إبناً صالحاً . .

* * *

قال لي أحد الخبراء في علم التربية ، مجيباً على سؤال وجهته إليه : آن الخطورة تكمن ليس في أن الآباء يجهلون مسؤليتهم تجاه الأبناء فقط ، وإنما في غفلتهم ـ ولربما يحدث ذلك لإنشغالاتهم في أمور المعيشة

(١) بحار الأنوار ج٣ ـ ص١٥٣ .

وبالتالي فإنهم لا يقومون بتأدية واجبهم على أحسن ما يرام .

وكما أعتقد : بالإضافة الى ذلك أن هنالك ثمة أسباب أخرى تساهم وبشكل كبير في خلخلة العملية التربوية ، وظهورها عليلة وناقصة ..

والأسباب هي كما لو فكر القارىء العزيز معي الآن لوجدها كما يلي أو تختلف قليلاً :

١ ـ عدم وجود برنامج تربوي متكامل لدى الوالدين .

٢ ـ تشوّش الرؤية . . وغياب الهدف الواضح للتربية .

٣ ـ عدم الإلمام الكامل بمعرفة الأسس الفنية في معاملة الأبناء والتأثير فيهم .

٤ ـ غياب المقياس والمثل الأعلى للتربية المطلوبة . . أو الشعور بإيفاء حق التربية . . والواقع يكون عكس ذلك .

٥ ـ اهمال دور الأم . . وعدم اعدادها .

٦ ـ ضحالة ثقافة الوالدين ، وقصور في وعيهما، وتجاربهما.

وأما ما هي التربية الصالحة ؟ وكيف يجب أن تكون ؟ وما هو الطريق الى سعادة الأطفال ؟ وكيف نتصرف مع أبنائنا على أحسن ما يرام ؟

وماذا نهدف من العملية التربوية ؟ وكيف نحقق النجاح في بناء « الإنسان الصالح » ؟

كل هذه الأسئلة ، وغيرها نحاول أن نتناولها في الفصول القادمة ، ونطلب من القاريء أن يشاركنا في إبداء وجهات نظره ، ويعطي لنفسه فرصة

التفكير الهادىء في كل نقطة عله يرى ابعاداً وجـوانباً أخـرى لم نتوصـل نحن إليها .

الجزء الأول
الأسس الفنية في معاملة الأبناء

الفصل الأول : إمنح إبنك الإحترام والتقدير

الفصل الثاني : عش . . كما لو كنت طفلاً .

الفصل الثالث : لا تكن مستبداً .

الفصل الأول

إمنح إبنك الإحترام والتقدير .

كان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يسأل أولاده بحضور من الناس بعض المسائل العلمية ، وربما كان يحيل الجواب على أسئلة الناس إليهم .

ومن النتائج المهمة لهذا العمل ، إحترام الأولاد ، وإحياء الشخصية فيهم .

وفي يوم من الأيام سأل الإمام عليه السلام من الحسن والحسين بعض الأسئلة ، فأجاب كل منهما أجوبة حكيمة بعبارات قصيرة .

ثم إلتفت الإمام علي(ع) الى الحارث الأعور فقال : « يا حارث علموا هذه الحكم أولادكم فإنها زيادة في العقل والحزم والرأي » .

* * *

وحدث ذات يوم وكان النبي (ص) يصلي في فئة من الناس ، والحسين صغيراً بالقرب منه .

فكان النبي إذا سجد جاء الحسين (ع) فركب ظهره ثم حرك رجليه فقال :

حل ، حل !

فإذا أراد رسول الله (ص) أن يرفع رأسه أخذه فوضعه الى جانبه ، فإذا سجد عاد على ظهره ، وقال : حل ، حل !

فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي من صلاته .

فقال يهودي :

ـ يا محمد ! إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن .

فقال النبي (ص) :

ـ لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان .

حينئذ قال اليهودي :

ـ فإني أؤمن بالله وبرسوله . فأسلم لما رأى كرمه مع عظم قدره .

* * *

أجل كما يجب إحترام الكبار ـ بقد ذلك أو أكثر ـ يكون من الضروري إحترام الأبناء الصغار .

بينما الأمر الواقع الذي نعيشه ـ في معاملة الأبناء ـ عكس ذلك تماماً .

أحب هنا أن أسوق لكم هذه القصة الواقعة : يقول السيد « م » وهو يوري قصته أيام الطفولة : كانت سنين عمري لا تتجاوز الحادية عشر ـ كما أتذكر ـ وذات يوم من تلك الأيام ، كنا قد أقمنا في بيتنا حفلاً بمناسبة شفاء والدتي من مرض خطير كاد أن يقضي على حياتها ، لولا عناية السماء .

وقام والدي بدعوة الأهل والأقارب وبعض الجيران للمشاركة في

الحضور وتناول طعام العشاء .

وحلّت تلك الليلة ، وتوافد الرجال والنساء الى دارنا ، بينما كنت أنا ـ خارج البيت ـ أقوم بشراء بعض الحوائج ، وما لبثت ان عدت الى البيت .

بعد ذلك . . توجهت الى قاعة الإستقبال فدخلتها ، وسلمت على الحضور ، ومما بعث في قلبي السرور والفرح ، أن جميع الرجال الجالسين إنتصبوا قائمين لمقدمي ، وهم يرحبون بي ، ويشيرون لي بالجلوس .

ولكن سرعان ما تحول ذلك الفرح في قلبي الى حزن وتبدل السرور لينقلب الى مرارة ، ترى ما الذي حدث؟ إن الذي حدث هو أن والدي الوحيد الذي لم ينهض لقدومي ، بل وكأن عملاً سيئاً قد وقع وادخل الخجل في نفسه ، حيث راح يأمر الحاضرين بالجلوس ويقول لهم : استريحوا . . تفضلوا . . لا داعي لذلك !

لقد أحسست بأن أبي يريد أن يقول للضيوف : ان ابني لا يليق بالإحترام والتكريم ، فلا تعتنوا به ولا تقوموا له !!

* * *

ويحدث كثيراً إن الآباء لا يحجزون في بعض السفرات مقاعد لأطفالهم لغرض الإقتصاد في الصرف ، فيقف الطفل طول الطريق ، وعندما يتعب يجلس في حجر الأب .

بالطبع فإن ذلك مما يثير في إحساس الطفل بأنه لا يملك من المنزلة والإحترام ما يستوجب أن يُحَجزُ له مقعد خاص حتى يجلس كالآخرين ، خصوصاً إذا كان هنالك طفل في سنه قد حجز له أبوه مقعداً !

أو يحدث أحياناً أن بعض الآباء . . يمنعون أبناءهم من إرتياد أماكن

الكبار ، ويضطرون ـ في كثير من الأحيان ـ الى إستعمال العنف في طردهم فيما لو حدث وأن دخلوا تلك المجالس الممنوعة عليهم !

إن الآباء يحاولون ـ بعملهم هذا ـ إلحاق الإهانة بنفوس الأطفال وتكون بمثابة الضربة القاصمة التي ترد على شخصياتهم وتلازمهم مدى الحياة .

ولا أدري بالضبط أو لا أكاد أفهم ما يهدف إليه الآباء من سحق شخصيات أبناءهم وعدم إحترامهم ؟ هب أنهم يريدون التخلص من ضجيجهم وصراخهم وكل ما يحدثون من أذى وشر .

ولكن هل أن التخلص من ذلك ، ليس له حيلة إلا بالإهانة ، وعدم الإحترام ؟ !

حدثني أحد الرجال قائلاً : إجتمعت مع ثلة من الأصدقاء في جلسة عصر ذات يوم ، كنا نتجاذب فيها أطراف الحديث ، ولم يكن فينا صبياً واحداً ، كان قد جاء في صحبة والده .

والذي حدث أن والد هذا الصبي طلب من إبنه الخروج من بيننا واللعب مع الأطفال خارج الدار .

لكن الطفل رفض الخروج ، ولم يستجب لإلحاح والده وطلبه المتكرر ، وكلما كان الأب يصر على خروج إبنه ، كان الإبن يصر على الجلوس معنا .

فاضطر ذلك الأب الى أن يتوسل بالعنف الأحمق فهدد إبنه بالضرب إن لم يخرج ، .

وأخيراً إستطاع طرده من الجلسة ، دون مكترث بمسألة أحترام شخصية ولده .

والقصة لم تتوقف عند هذا الحد . . والذي جرى ان هذا الصبي البالغ من العمر سن التاسعة ولكي يرد الإعتبار لشخصيته المسحوقة خرج الى الطريق وحمل حجراً ، وضرب به رأس طفل من أبناء الجيران فشجه وسالت الدماء ، ولما شاهد ذلك أخوة هذا الطفل المصاب لم يتركوا صبينا وشأنه ، فعمدوا بدورهم ـ إنتقاماً ـ وانهالوا عليه يضربونه بقسوة ولم ينج منهم إلا بعد أن أوقعوا فيه جروحاً بليغة ، إضطر أبوه أن ينقله الى المستشفى فوراً .

* * *

إذن . . هنالك آثار سلبية كثيرة من جراء عدم إحترام الأبناء ، هذا بالإضافة الى الآثار السيئة التي تتعلق في نفوس الأطفال ، مثل عقدة الحقارة ، وإهتزاز الشخصية ، وما شابه ذلك ذلك من صفات نفسية خطيرة تهدد كيان الطفل وتلاحقه حتى خريف عمره .

بينما تستطيع أنت ـ أيها الأب العزيز ـ أن تكون بمعزل عن كل تلك الآثار السيئة ، والنتائج السلبية بفعل شيء واحد وهو « الإحترام » .

ولا يعتقد أحد بأن إحترامك لولدك يلحق بك ضرراً ، أو يسيء الى سمعتك .

ترى . . فماذا يحدث لو قام الأب ـ في مجلس ـ إحتراماً لولده مثلاً ؟

وماذا يحدث . . لو إصطحب الآباء أبناءهم الى أماكن الكبار ؟

وماذا يحدث . . لو تعامل الوالد مع ولده على أساس من الإحترام والتقدير ؟

وماذا يحدث . . لو إحترم الكبار الصغار ؟

هل يحدث غير النتائج الحميدة والطيبة التي تترك أثراً سحرياً في نفوس الأبناء ، وتربأ بهم الى مدارج العظمة والكمال ؟

ويجدر بنا أن نسجّل ـ هنا ـ هذه الفكرة الهامة التي تقول ان قيمة الإحترام تكمن حينما يتقدم الكبار بإحترام الصغار ، وإلاّ فإن إحترام الصغار للكبار أمر طبيعي مفروغ منه .

كذلك فإن قيمة الزهد وعظمته حينما يكون الإنسان الغني زاهداً ، وليس حينما يكون الفقير زاهداً .

كما أن عظمة التواضع ، هي أن يتواضع العظيم للداني والكبير للصغير .

فلو إحترم الصغير الكبير ، وزهد الفقير ، وتواضع الحقير ، حينئذ لا يكون قد صدر منهم أي فعل ذي بال يشار إليه بالتقدير والتعظيم .

ولكن العظمة . . حينما يحترم الإنسان من هو أصغر منه ، ويتواضع لمن هو أدنى منه منزلة .

يقول الحديث الشريف في وصف النبي (ص) :

« يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ، ويسلم مبتدءاً على كل من إستقبله من صغير أو كبير ، أسود أو أحمر ، حر أو عبد » .

ويقول الإمام الصادق (ع) عن آبائه عن النبي (ص) قال : « خمس لست بتاركهن حتى الممات . . وتسليمي على الصبيان لتكون سنة من بعدي »[1] .

---

(١) الوسائل ج٣ ص٢٠٩ .

وهذا عيسى بن مريم ، جمع الحواريين وقال لهم :

ـ « إليّ إليكم حاجة . إتقضونها لي ؟ » ؟

فقالوا له :

ـ « لقد قضيت حاجتك يا روح الله » .

فقام عيسى بن مريم (ع) وغسل أقدامهم » !

فقالوا :

ـ « كنا أحق بهذا منك » ! ؟

فقال :

ـ « أحق الناس بالخدمة : العالم » .

وأضاف :

« إنما تواضعت هكذا ، لكي تتواضعوا من بعدي في الناس كتواضعي لكم » .

* * *

ولإحترام الأبناء نتائج إيجابية كثيرة ، وبإستطاعة أي أب أن يجرب ذلك ، فلو كنت تريد من إبنك خدمة ما ، ابدأ أولاً بإحترامه وأومىء إليه بالثقة ثم اطلب ما تريد . . وانظر كيف تكون النتيجة . ؟

هذا بالإضافة الى أن الأبناء سيعاملون آباءهم كما تعلموا وتعودوا عليه ، لذلك فالأب حر في إختيار الطريقة التي يرغب أن يعامله بها أبناؤه في صغرهم وعند الكبر .

تماماً كما انك لا تستطيع أن تسحب مقداراً من المال من البنـك إلا إذا كنت قـد دفعته مسبقـاً ، فلا تستـطيع أن تـطالب أبناءك ـ أو أي إنسـان آخـر ـ بـالإحترام ، وأنت لم تـودع الإحتـرام في بنـوكهم ، ولم تمنحهم الإهتمـام ، فاهتم بهم يهتمون بك ، واحترمهم يحترمونك .

يقول الإمام علي (ع) :

« إجملوا في الخطاب تسمعوا جميل الجواب » .

لأن هذه حقيقة حتميـة وسنة كـونية لا يمكن تبـديلها ، « فمن جـد وجد ومن زرع حصد » .

وإذن ، لكي تحترم أبناءك على أكمل وجه ، إعمل بهذه الإقتراحات :

١ ـ دع أبناءك يتحدثون أمام الآخرين ، كما كان يفعل الإمام علي (ع) مع ولديه الحسن والحسين .

٢ ـ إظهر صفاتهم الحسنة . . واجزل الثناء عليهم .

٣ ـ بادرهم بالسلام والتحية .

٤ ـ لا تنهرهم أمام أي أحد .

٥ ـ أصدق معهم في الحديث والموقف .

٦ ـ إصطحبهم معك . . وخذ بأيديهم الى أماكن الكبار .

الفصل الثاني

عش . . كما لو كنت طفلاً !

إنك لتجد ان جهاز التلفاز يقدم برامج خاصة للأطفال يستطيع أن يحاكيهم ، ويؤثر فيهم ، كما أن لهم كتبهم ، ومجلاتهم ، وقصصهم ، التي كتبت بلغتهم وبمستوى وعيهم ، وطريقتهم لفهم الحياة .

ويعتبر الحديث مع الأطفال أو الكتابة لهم فن قدير ليس من السهل على كل الكتاب والمفكرين الكبار أن ينزلوا الى مستوى أسلوب الكتابة للأحداث .

تماماً . . كما ان للأطفال أسلوبهم الخاص بهم في الكتابة ، كذلك فإن لهم طريقتهم الخاصة بهم في المعاملة .

وليس جديداً أن نقول : لا يمكن أن تتعامل مع طفل وكبير بنفس الطريقة ، وبأسلوب واحد لا تغيير فيه .

إن من الممكن أن تدفع رجلاً لشراء بيت أو سيارة ببضع كلمات لا تتعدى ثماني كلمات ، كأن تقول له : خذ هذا المبلغ واشتر هذا النوع من السيارات .

ولكن هل من الممكن أن [illegible] طفلاً لعمل ذلك بنفس هذه الكلمات ؟

لعلك تتبرم أيها القارىء الحبيب وتقول : وهل هنالك من أحد لا يعرف الفرق بين أسلوب الكبار والصغار ؟

وأقول نعم ! الجميع يعرف ذلك . ولكن السؤال : هل الجميع يجيد فن النزول الى مستوى الصغار ؟ أو بالأحرى : هل الجميع ينزل عملياً الى مستوى الأطفال ؟

إذ ليست المشكلة في غياب النظرية ، وإنما المشكلة تكمن في عزل النظرية عن ساحة العمل والتطبيق في الحياة .

إذن ليست المسألة إننا نعرف العلم أو نعرف فن إستخدامه ولكن دون أن نزيل الفاصل بينه وبين العمل به .

والسؤال الآن : كيف تختبر نفسك ، وتعرف هل أنك تجيد إستخدام هذا الفن ، أم انك ممن لا يمارسونه أبداً ؟

والجواب : الأمر بسيط جداً ، ما عليك إلا أن ترى : كيف تتصرف أمام الحالة التالية :

حينما تكون منهمكاً في اداء عمل ما ، تحرص على إنهائه قبل إنتهاء الموعد أو فوت الفرصة ، وفي هذه الحالة فأنت لا تريد الخروج من المنزل أو مكان العمل ، بل لربما لا تفكر بذلك مطلقاً في الوقت الراهن .

وبينما أنت كذلك تأتيك إبنتك أو يأتيك ولدك الصغير ، يطلب منك أن تأخذه فوراً الى المتنزه أو الى السينما لمشاهدة الأفلام المتحركة ويبدأ يلح عليك ويأخذ بيدك ، ويجر قميصك وهو يولول معلناً إصراره على الخروج حالاً .

هنا . . كيف تتصرف ؟

بـالطبـع هنالـك طريقتـان يمكنك أن تتبـع إحداهمـا لصـرف إبنـك عن فكرته ، والتخلص منه :

الطريقة الأولى : أن تنهر الطفل ، وترفع عقيرتـك بالصيـاح في وجهه ، وتقول له : « إدلف الى أمك » !

وإذا لم يجدي ذلك نفعاً ، ترفع يدك ، وتـوجه صفعـة على خده الغض الطري ، وتنجح بإبعاده عنك والتخلص من طلبه .

الطريقة الثـانية : أن تـأخذه الى حضنـك وتطبـع على وجنته قبلة أبـوية عطوفة ، ثم تقول له ـ على سبيل المثال ـ : إنك تعلم يا بـابا كم أنـا أحبك ، وأحب أن أخذك الى المنتزه أو السينما ولكن هل أنت تحبني كذلك ؟

بالتأكيد أنه سيجيب قائلاً :

ـ نعم !

ثم تقول له :

ـ إذنْ . . هل ترضى بأذيتي ؟ !

سيجيب بـ :

ـ لا !

عندها تقول له : إنني أصاب بالأذى لو خرجت الآن يا ولدي !

وتضيف قائلاً بعد أن تشرح له قليلاً :

ـ ولكن يمكننا أن نخرج في وقت أو يوم آخر دون أن يكـون هنالـك أي حرج بالنسة لي ولك .'

عند ئذ سينصرف عنك إبنـك ويتوجـه ليزجي وقتـه في اللعب ، وبشكل طبيعي وهادىء .

الآن إنظر . . هل أنت تتبع الطريقة الأولى أم الثانية في مثل هذه الحالة وما شابهها ؟

إذا كنت تتبع الطريقة الأخيرة فاعرف انك تجيد فن ستخدام النزول الى مستوى الأطفال ، وتعرف فن معاملتهم .

ولكي تجيـد فن التعامـل مـع الأطفـال لا بـد من أن تجيـد ـ أولاً ـ لغـة التفاهم معهم ، وذلك يكون بإتباع القاعدة الذهبية التاليـة « عش كما لـو كنت طفلاً » أي لو كنت تريد أن تنهر إبنك ـ مثلاً ـ قبل ذلك فكر لحظات ، وتصور نفسك مكانه وبقد عمره ، فكيف كنت تفكر ، ومـا هي الطريقـة الفضلى التي كنت ترغب لو أن أباك أراد نهيك عن نفس هذا الفعل الذي تريـد نهي طفلك عنه اليوم ؟

بعد هذه العملية لا ضرر من إصدار الأمر والنهي . وبالتأكيد أنك ستجد النتائج الإيجابية وستحقق النجاح في معاملة أبنائك .

وإليك خير مثال على ذلك :

« كان هنالك طفل قد أتعب والديه في الأكل ، حيث كان يرفض كـل ما يقدمان له من طعام ، فكان يصعب عليهما إقناعه بـالأكل ، بينمـا كان جسمـه يزداد نحافة يوماً بعد يوم .

واستعمل الأب وزوجته الطريقة المعتادة : نهرا الـطفل ولامـاه : « امك تريدك أن تأكل هـذا » . . « أبوك يـرغب في أن تنمو وتصبـح رجلاً » . . لكن الطفل لم يهتم بذلك ، كما لا تهتم أنت بأعياد البوذيين .

بعد ذلك بدأ الأب يفكر جدياً في أفضل طريقة يقنع بها ولده وأخذ يفكر كما لو كان هو الطفل ، فيبحث عن عواطف طفله ورغباته فجعل يسأل نفسه : « ماذا يريد الطفل ؟ وكيف أوفق بين ما أريد وما يريد ؟ » .

وحين بدأ يفكر على هذا النحو ، سرعان ما حلت المشكلة . فقد كان للطفل دراجة يحلو له أن يركبها ويذرع بها الطريق الممتد أمام بيته . . ولكنه كان يهاب صبياً يكبره سناً يقطن بالقرب منه ويلذ له دائماً أن ينحي الطفل عن دراجته ليركبها هو عنوة وإقتداراً فكان صاحبنا الصغير يهرع الى أمه باكياً فتخرج للصبي وتخلص منه الدراجة !

فماذا كان الطفل يريد ؟ لقد كان يريد ـ طبعاً ـ الإنتقام من هذا الصبي الذي طالما جرح كبرياءه ، وأذل إحساسه بالأهمية !

وعرف أبوه هذا فأقبل عليه يمنيه بأنه يسعه أن ينتقم من غريمه هذا لو أنه أكل من الطعام مقداراً كافياً . وعندئذ حلت المشكلة ! فقد أبدى الطفل إستعداده ، وبدأ يتناول أصناف الطعام بنهم من أجل أن ينمو ويكبر ، ويتسنى له أن يؤدب ذلك الشرير الذي طالما غلبه على أمره ، وسلب منه دراجته » .

إن رغبة الأب والأم بالنسبة لأبنهما لم تستطع أن تكون محركة للطفل ، ولكنهما عندما إكتشفا حاجة إبنهما ، وادركا وتر آلامه ورغباته ، إستطاعا أن يدفعانه للأكل بشغف .

* * *

هذا وان إدراك رغبة الأطفال والتعامل معهم وفقهاً ، ليس الأسلوب الأنجح في ما يتعلق بفن الصغار فحسب بل وحتى في معاملة الكبار ، فإنها قائمة على مراعاة ذلك .

يقول أحد الناجحين في معاملة الناس :

« إذا كان هناك سر واحد للنجاح ، فهو القـدرة على إدراك وجهات نـظر الشخص الآخر والنظر الى الأشياء بالمنظار الذي ينظر به الآخرون » .

ويقول الإمام علي (ع) لآبنه الحسن :

« يـا بني إجعل نفسـك ميزانـاً فيما بينـك وبين غيرك فـاحبب لغيرك مـا تحب لنفسـك ، واكره لـه ما تكـره لها ، ولا تـظلم كمـا لا تحب أن تـظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك» .

الفصل الثالث

لا تكن مستبداً !

نزل صديق لي ضيفاً على بيتنا ـ ذات يوم ـ وكان قد أصبح أباً منذ أيام ليست بعيدة ، حيث رزق بوليد لأول مرة .

طلب مني هذا الصديق أن يستعير كتاباً حول تربية الأبناء وقبل أن أقوم بتلبية طلبه ، إرتأيت إستغلال الفرصة والإفادة منه فوجهت إليه سؤالاً وقلت :

ـ قبل ذلك أود أن أسألك سؤالاً . . ترى أي الطريقة التي ستعتمد للتعامل مع أبنائك ؟

رفع رأسه في تفكير ، وتأفف بحسرة ثم قال بإيجاز :

ـ طريقتي ـ التي سأعتمدها ـ في تربية أبنائي أن لا أكون مستبداً معهم .

من خلال هذه الإجابة وطريقة طرحها لمست شيئاً ، وبدا واضحاً لي ان هذا الصديق لربما مر بهذه التجربة حين صباه وذاق مرارتها من قبل أحد أبويه .

ولما كان ـ هو ـ في غاية الصراحة معي وجهت إليه السؤال التالي وقلت :

ـ هل كان أبوك مستبداً في معاملتك ؟

أجاب قائلاً :

ـ لقد وضعت يدك على الجرح . . إنك تستطيع أن تقول أن أبي كان حاكماً دكتاتوراً !

ولما طلبت منه التفصيل أخذ يحدثني بصراحة ، وإليك قصته كما رواها :

« كان أبي مستبداً برأيه في كل الأمور الكبيرة منها والصغيرة ، إذ لم يكن يأخذ برأي أي أحد من أبنائه ، منذ يوم كنا صغاراً وحتى أصبحنا رجالاً كبار .

وأتذكر أنه لم يلبِّ لنا طلباً يوم كنا صغاراً ، فهو الذي كان يصدّر الأوامر وكان علينا التنفيذ بدون نقاش .

حتى أنه أخذنا ذات يوم في رحلة سياحية ـ وكنت حينها في سن الخامسة عشر ـ فطلبنا منه أن يأخذنا الى مصيف شهير كان هدفنا الوحيد من الرحلة ، لكنه أومأ لنا بالرفض وأخذنا الى مكان كان هو يهوى الذهاب اليه ، وفي ذلك المكان ، كان هنالك نهراً رقراقاً ، وكانت الأجواء قائضة ، فطلبنا ـ أنا وإخواني ـ أن يأذن لنا بالسباحة ، لكنه رفض أيضاً .

لقد كان والدي ـ في تلك الرحلة التي من المفترض أن تكون لنا ـ لا يذهب بنا إلا الى المكان الذي يرغب هو إليه ، ولا يدخلنا مطعماً إلا المطعم والطعام الذي يشتهيه ولا يسمح لنا بفعل أو إقتناء أي شيء من الألعاب والحاجيات ، إلا ما كان يتوق له ويرضيه .

وبالطبع فلم يكن والدي يتنازل عن أي قرار يتخذه ، حتى ولو توسلنا به

وزدنا في الإلحاح ، بل ولم يكن يسمح لأي أحد أن يجعل من كلمته كلمتين .

ولقد ذقنا مرارة إستبداده طوال أيام الطفولة والكبر وكان هو بذلك يسيء في معاملتنا أي إساءة .

وحينما كنا نرى بعض أبناء الجيران كيف كانوا يتنعمون بالحرية ، ويرفلون بإجواء الديمقراطية ، كان ذلك يثير فينا الألم والحسرة المرّة ، ولمرات كثيرة كنا نغبط أبناء الجيران على آبائهم ، وكم تمنينا أن يقتدي أبونا بآبائهم ولكن بلا جدوى .

إذن الآباء المستبدون هم الذين يفرضون قدراً كبيراً من السيطرة المتطرفة على الأبناء ، ويتعاملون معهم بصرامة وتهديد ، وتأنيب أو يحاولون دفع أبنائهم الى مستويات وآراء لا تلائمهم ، ولا تتفق مع أرائهم المشروعة .

ويفرز هذا الإستبداد النتائج السلبية التالية :

١ ـ يحاول الأبناء مقاومة السيطرة الأبوية فتتحول هذه المقاومة غالباً الى نضال من أجل النفوذ بين أنفسهم وبين آبائهم .

٢ ـ أن السيطرة الأبوية المتطرفة تحول بين الابن ورغبته في الإستقلال حتى يستطيع أن يأخذ مكانته كفرد ناضج ومستقل في المجتمع .

٣ ـ ولادة الحقد والكراهية في نفوس الأبناء تجاه آبائهم ، والتخلص من ربقتهم ويحدث كثيراً ان الطفل يتمنى موت أبيه ليس لأجل التركة ، وإنما من أجل التحرر والخلاص .

* * *

على ضوء ذلك لا أعتقد أن أحداً يؤمن بالدكتاتورية كما لا أحد يؤمن

بالحرية المطلقة للأبناء ، ولكن أمر بين أمرين .

أي أن من حق الأب الشرعي تجاه أبنائه أن يمنعهم من فعل بعض الأمور ويضع حداً لهم تجاه بعض القضايا التي يراها تضر بأنفسهم ومصالحهم ولكن . . ليس للأب الحق في منعهم وفرض رأيه عليهم في كل شيء . . حتى في نوعية اللعبة الصالحة .

بل وليس له الحق في أن يفرض رأيه حتى في بعض العِادات والتقاليد .

يقول الإمام علي (ع) في كلمة رائعة :

« لا تقسروا أولادكم على أدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم »[1] .

وعلى سبيل المثال : فإذا كان الأب يتناول الطعام بيده وأولاده يأكلون بالملاعق ، فليس له حق منعهم أو إلزامهم الإقتداء به ، وكذلك الأمر في الآداب الاخرى سواء في طرق استخدام مواصلات السفر وكيفية السكن والملبس أو العادات الاخرى طالما هي في طول الشريعة الإسلامية لا في عرضها .

أي مادام هي صالحة ومحللة أو مباحة ، ولكن للأب الحق بل ويجب عليه فرض رأيه حينما يسيء الأبناء الطريق المستقيم أو منعهم لكي لا يضلوا الطريق منذ البداية .

ولكن ما هو المانع من أن يدع الأباء أبناءهم يختارون الآداب المخالفة لآدابهم ما لم تكن تخالف شريعة الله عز وجلّ ؟

---

(١) شرح ابن أبي الحديد (ج٢٠) ص٢٦٧ .

بالطبع . . لا يحدث أي شيء !

بل أن الأب الكريم سيجني نتائج طيبة من ذلك ، فإنه لو أرخى الحبل وترك الحرية لأبنائه في كل الأمور الجزئية التي لا تضر ولا تنفع ، فإنه بالتأكيد سينجح في شد الحبل في الأمور الكبيرة والهامة الأخرى .

تماماً . . يكون بعكس ذلك الذي يشد في كل شيء .

وهذه العملية تشبه عملية الخطابة ، فإن الخطيب الناجح هو الذي يشد على بعض الكلمات ويرَ في البعض الآخر ، فهو لا يصرخ دائماً خلال حديثه .

بينما الخطيب الفاشل هو ذلك الذي يبدأ خطابه بالصراخ والشد على مخارج الكلمات في حنجرته ، حتى نهاية خطابه .

إن سياسة اللين في مقابل الشدة « لها الأثر البالغ لإحتواء الأبناء وإمتصاص أي بوادر للنقمة في نفوسهم .

يقول الحديث الشريف :

« لا تكن يابساً فتكسر ولا تكن ليناً فتعصر » .

* * *

والمطلوب أن يكون الأب ليناً حتى في الأمور التي يرى من الضروري أن يشد الحبل فيها ، ويأخذ برأيه خلافاً لآراء أبنائه .

فإذا كان من حقه ـ مثلاً ـ أن يصدر أمراً بالرفض ، فليس من حقه أن يستخدم العنف والقوة إذا كان للرفق الى ذلك سبيل .

هب إنك أردت منع ولدك من إرتياد أماكن اللهو ، ونهيه عن سماع الأغاني ، أو أردت أن يستجيب لك في إداء عمل الخير والصلاح ، فهل هنالك خير من إستخدام الرفق واللباقة وفن الإقناع في ذلك ؟

* * *

والسؤال الآن هو : كيف يتصرف الآباء تجاه طلبات أبنائهم ؟

هل ينفذون كل أوامرهم ؟

أم يمتنعون ؟

يقول أحد خبراء التربية : « ليس من الصحيح أن يكون الطفل جهازاً تشريعياً ، كما ليس من المطلوب أن يكون الوالدان جهازاً تنفيذياً ، يقوم بتنفيذ كل الأوامر والقوانين التي تملى عليه .

والوالدان اللذان يكونان جهازاً تنفيذياً ، فإنهما يسيئان الى آبنائهما وأنفسهما معاً .

كما وليس من الصحيح أن يكون الوالدان حكومة دكتاتورية مستبدة تحكم بقوة الحديد والنار ، ويكون الأبناء شعباً مضطهداً مسلوب الحرية .

وإنما السليم والمطلوب أن يكون الوالدان حكومة تمنح شعبها الحرية والديمقراطية ضمن شروط وحدود وضعتها شريعة السماء .

قال لي أحد الآباء عن تجربته في التعامل مع الأبناء وبالخصوص حينما يقدمون طلباتهم قال يجب أن لا يتعودوا على الإستجابة الفورية لكل طلباتهم » .

وأضاف قائلاً :

كنت أعرف صديقاً لي كان يشغل وزوجته مناصب كبيرة في الدولة ، وكانا يدران ـ شهرياً ـ أموالاً طائلة ، وحينما وجهت إليهما سؤالاً وقلت : هل يغنيكما معاشكما ؟ فقالا :

لا إن نصف الراتب الشهري لا يكاد يفي لشراء حاجيات أبنائنا وقضاء طلباتهم فقط ! » .

وأقول : هذا بالإضافة الى أن الطفل أو الطفلة المدللة حينما تكبر وتنتقل الى بيت الزوجية ، فإنها ستكون من أصناف النساء اللواتي يقصمن ظهور أزواجهن بكثرة طلباتهن ، وإسرافهن في شراء الفساتين والحلي وأدوات الزينة .

وقد تبين حسب ما أكدته الدراسات والبحوث أن الزوجة القانعة بالكفاف ، هي تلك الطفلة التي لم تتعود على إستجابة جميع طلباتها حين الصغر .

إن أفضل قاعدة للتعامل مع كل شيء هي قاعدة : « لا إفراط ولا تفريط » .

ونحن هنا ننصح بإتباع هذه القاعدة الذهبية في التعامل مع الأبناء حينما يقدمون طلباتهم، لأن خير الأمور أوسطها « كما يقول الحديث الشريف .

الجزء الثاني

كيف تكسب ابناءك ؟

الفصل الأول : أقصر الطرق الى قلب الطفل .

الفصل الثاني : تصاحَب معهم .

الفصل الثالث : مصادقة الأبناء .

الفصل الأول

أقصر الطرق الى قلب الطفل

يقول أحد الأشخاص :

« دخلت تجمعاً جديداً علي واستطعت أن أدخل في قلوب كل من صاحبتهم في هذا التجمع إلا واحدامنهم، كلما تقربت منه ، شعرت بعدم إرتياحه لي ، ولقد فكرت ملياً في الدخول الى قلبه ، ووضعت خططاً ، وطبقتها . إلا أن شيئاً منها لم يجدي . .

وعندما وصلت الى درجة القناعة بأني لا أستطيع أن أفتح علاقة محبة معه . في هذه المرة حدث لي أن تحدثت معه ، وكان صاداً بنصف وجهه عني ، قلت له : ـ إسمع مني ياحبيبي . .

فجأة . . وإذا بالرجل يوجه نظراته الي ، مركزاً عينه في عيني ، يستمع الى كلامي بلهفة الحبيب ، وما كدت أن أتوقف من كلامي حتى قال :

ـ ماذا قلت . . حبيبي ؟ !

فظننت انه إستنكر الكلمة ، فقلت محاولاً تدارك الموقف :

ـ نعم إني صادق . إني أحبك كما أحب نفسي . .

وإذا بالرجل يقاطع كلامي ، ويقوم ليقبلني . .

ومنذ تلك اللحظة ، أصبح الرجل صديقاً حميماً لي » .

* * *

جاء في الحديث :

« مر رجل بالمسجد وكان الإمامان ، أبو جعفر وأبو عبد الله جالسين .
فقال أحد جلسائهما :

« إني والله لأحب هذا الرجل » .

فقال له أبو جعفر الباقر (ع) .

ـ فاذهب إليه واعلمه بحبك ، فإنه أبقى للمودة وخير من الإلفة وأكثر في الإجتماع » .

هكذا تؤثر كلمة الحب في الأخوان والأصدقاء .

ترى كيف هي مع الأبناء ؟

يقول أحد الآباء : « إذا وددت أن تعلم كيف توقع إبنك في حبك ، ما عليك إلا أن تغمره بالحب » .

وقال أخر : « أحبب ابنك يحبك » .

ولذلك يقول الإمام الصادق (ع) :

« إن الله (عز وجل) ليرحم الرجل لشدة حبه لولده »[1] .

وقال (ع) أيضاً :

« قال موسى (ع) :

ـ يا رب ! أي الأعمال أفضل عندك ؟

قال :

ـ حب الأطفال ، فإن فطرتهم على توحيدي ، فإن أمتهم أدخلتهم جنتي برحمتي »[2] .

وهنا يجدر بنا إيراد الملاحظة التالية : ليس هنالك من الآباء من يكره أبناءه إلا ما ندر ، وحتى الذي يعلنون بغضهم وكرهم لأبنائهم بسبب النزاعات

---

(١) الوسائل (ج٥) ص١٢٦ .

(٢) بحار الأنوار (ج١٠٤) ص٩٧ .

التي تحدث أحياناً ـ وللأسف ـ بينهم وبين أبنائهم فإنهم في الواقع يضمرون الحب لهم ، ولا يمكنهم التخلي عنه .

حدث لي ذات مرة وكنت بصحبة أحد الآباء في رحلة طويلة بالقطار ، وكان هذا الأب رجلاً طاعناً في السن ، وله سلسلة من الأبناء ، كان كبيرهم قد تخاصم معه بعد شجار وخلاف عميق دام لعدة سنوات .

كان الأب هذا قد ذاق الويلات من إبنه العاق ، وحينما كان يتحدث لنا عنه ، كان يتأفف ويتألم كثيراً ، وكان يقول بالحرف الواحد أنه يكره إبنه هذا !

ولكنني ـ في الواقع ـ وجدت العكس تماماً ، فلم أجد فيه الكراهية ، وإنما رأيت فيه الحب لولده . وذلك من خلال حديثه المتكرر عن إبنه ومحاولة إبعاد نفسه عن سبب نشوب الفرقة وإظهاره الإستعداد للصلح إذا جاءه ولده معتذراً .

* * *

ومن هنا فقد لا يشك أحد في حب الآباء لأبنائهم ، ولكن السؤال المهم هنا هو : هل أن الأبناء يشعرون بحب آبائهم المكنون لهم ؟

ترى هل يشعر ولدك بحجم الحب الذي تكنه في قلبك إليه ؟

أم انه يخطىء التقدير العادل لحجم حبك له ؟

أو انه قد يظن بانك لا تحبه أبداً ؟ !

إذن لا يكفي أن تحب ولدك مالم تشعره بحبك إياه .

والمشكلة تكمن حينما لا يلمس الأبناء آثار الحب ـ وبالخصوص ـ عندما يقوم الأب بدور الآمر والناهي والزاجر ، حينئذ فلا يجد الابن أي صورة للحب في وجه أبيه .

والسؤال الآن :

كيف تشعر إبنك بحبك إياه ؟

والجواب :

هناك تسعة أمور صغيرة يمكنها أن تصنع المعجزات في اشعار الأبناء بحبك إياهم ، وتكسب قلوبهم ، وتوطد العلاقة معهم وهي :

١ ـ قبل أولادك . .

يقول الإمام الصادق (ع) :

« إكثروا من قبلة أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة » .

« وجاء رجل الى النبي (ص) فقال :

ـ ما قبلت صبياً قط ! . .

فلما ولّى ، قال النبي (ص) :

ـ هذا رجل عندنا من أهل النار »(١) .

٢ ـ ادخل السرور في قلوبهم . .

يقول النبي (ص) :

« من فرح إبنته كأنّما أعتق رقبة من ولد إسماعيل ، ومن أقر عين إبن فكأنما بكى من خشية الله »(٢) .

ويقول الإمام أمير المؤمنين (ع) :

« من قبل ولده كان له حسنة ، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة ومن

---

(١) بحار الأنوار (ج١٠٤) ص٩٩ .

(٢) مكارم الأخلاق ص١١٤ .

علمه القرآن دعي الأبوان فكسيا حلتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة »[1] .

٣ ـ أرحمهم وأعطف عليهم . .

يقول رسول الله (ص) :

« إحبوا الصبيان وارحموهم ، وإذا وعدتموهم ففوا لهم فإنهم لا يرون إلا انكم ترزقونهم » .

ويقول (ص) فيما أوصى به أمير المؤمنين (ع) :

« وارحم من أهلك الصغير ووقر الكبير » .

وجاء في الحديث :

« وكان النبي (ص) إذا أصبح مسح على رؤوس ولده » .

٤ ـ أحسن إليهم . .

ذات يوم قال رجل من الأنصار لأبي عبد الله (ع) :

ـ من أبر ؟

قال :

ـ والديك .

ـ قد مضيا .

قال :

ـ بر ولدك[2] .

---

(١) فروع الكافي (ج٦) ص٤٩ .

(٢) بحار الأنوار ج١٠٤ ص٩٨.

ويقول النبي (ص) :

من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها الى عياله كان كحامل صدقة الى قوم محاويج ، وليبدأ بالاناث قبل الذكور . . فإنه من فرح إبنة فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل ، ومن أقر بعين إبن فكأنما بكى من خشية الله ، ومن بكى من خشية الله أدخله الله جنات النعيم » .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« طبعت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » .

٥ ـ قدم لهم الهدايا . .

يقول الرسول الأكرم (ص) :

« الهدية تورث المحبة » .

إن الهدية رمز المحبة ، وكلما إزدادت الرموز ، كلما تجذرت المحبة في نفس الإنسان .

والهدية ليست في قيمتها المادية ، بل في قيمتها المعنوية ، فحينما تقدم لأبنك هدية ، قبل أن يتبادر الى ذهنه القيمة المادية لها ، سينتابه الشعور في نفسه بانك أكرمته وأعليت مقامه ، وغطيته بحلة جميلة من الحب الدافىء .

وبالتالي فإنك من خلال ذلك تكون قد وصلت عبر أقصر الطرق الى قلبه .

يقول الإمام علي (ع) :

« ما إستعطف السلطان ، ولا إستسل سخية الغضبان ، ولا إستميل المهجور ، ولا إستنجح صعاب الأمور ولا إستدفعت الشرور ، بمثل الهدية »

إذن للهدية دور كبير في تغيير مجرى الأمور ، فحتى السلطان يمكن إستمالته بواسطة الهدية ، وإذا كان الأمر كذلك مع السلاطين فما أجمل أن يكون للهدية دور فعال في علاقة الوالدين بأبنائهم .

* * *

طلبت من فتى ـ ذات يوم ـ أن يذكر لي حادثاً ـ بينه وبين أبويه ـ ترك أثراً إيجابياً بالغاً في حياته .

فقال الفتى بعد أن إبتسم مسروراً :

« الحادث الذي لا زال عالقاً في مخيلتي منذ أيام الصغر ، والذي ترك أثره السحري في نفسي هو الأمر التالي :

ذات يوم وأثناء لعبي. تسببت في تحطيم إحدى زجاجات النافذة في بيتنا ، ولما سمع بذلك والدي نهض من نومه غضباناً ، ومسك بتلابيبي ، وكان يرتعد من الهياج والعصبية ، فضربني ، وأهال علي كلمات اللوم والتقريع .

بعد أن إنتابني الشعور ، وبدا لي بأن والدي يحب الزجاجة أكثر مما يحبني ، وأيقنت بذلك لما تذكرت تعنيفه إياي في الأيام السالفة .

ولكن لم يمض من الوقت طويلاً حتى جاءني والدي وضمني الى صدره ، وقدم لي ظرفاً جميلاً كتب عليه العبارة التالية : « هذه هديتي .. الى ولدي الحبيب . . »

لقد كانت هذه الهدية مثل المطر الذي ينزل على مزرعة قطع عنها الماء طويلاً .

ومنذ ذلك اليوم إخضرت المحبة في فؤادي ، وتعلقت بوالدي أيما تعليق » .

أجل لا تنسى هذا الدور السحري أيها الأب الكريم وتذكر دائماً قول الرسول الأكرم (ص) إذ يقول :

« تهادوا فإن الهدية تغسل السخائم (الأحقاد) »

٦ ـ أخبرهم بحبك إياهم . .

يقول رسول الله (ص) :

« إذا أحب أحدكم أحداً ، فليخبره » . ذلك لأن الحب في قلبك مثل العطر في زجاجة مغلقة ، فإذا أردت أن تفرح رائحته الزكية ويشمها الآخرون ، لا بد لك أن ترفع الغطاء عندئذ . وإلا فإن العطر سيبقى ولا يشعر بوجوده أي أحد ، ولربما حتى الذي يحمل زجاجة العطر فإنه قد ينسى أنه يحملها .

٧ ـ إسق شجرة الحب دائماً :

في زحمة العيش ، وتكاثر الأولاد ، وصعوبة الحصول على السكن قد يتبرم بعض الآباء من أبنائهم وتقل نسبة الحب ، ولربما قد يفكر البعض ـ أحياناً ـ بتحديد النسل ، والتخلص من أبنائه فيعمد الى زجهم في أتون العمل ، وهم بعد لما يقوون على ذلك .

هنا ، وفي حالات أخرى مشابهة ، يجب على الآب الحكيم أن لا يسمح لجذوة الحب أن تخبو وتنطفىء ، وذلك يكون بالإعتماد على الله والتوكل عليه ، طالما هو وعد ـ في قرآنه الكريم ـ بالتكفل للآباء والأبناء معاً.

فقد قال الله عز وجل :

﴿**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**﴾ .

وقال عز وجل ـ أيضاً :

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾ .

٨ ـ كن وفياً معهم . .

قد يعد الأب أبناءه بوعوده ، ولكنه لا يفي بها ، فهو على ذنب لا كفارة معه ، لأن خلف الوعد يكسر الثقة بين الأب وإبنه ، والثقة مثل الزجاج إذا إنكسرت لا يمكن إعادتها كما كانت في السابق .

يقول الإمام علي (ع) :

« إذا وعدتم الصبيان ، ففوا لهم ، فإنهم يرون إنكم الذين ترزقونهم ، إن الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان »[١] .

ويقول الرسول الأكرم (ص) :

« إذا وعد أحدكم صبيه فلينجز »[٢] .

ذلك لأن الوفاء يعبر عن الإحترام ، والإحترام يعبر ـ بالطبع ـ عن الحب .

أي لا يمكنك أن تحب إنساناً وأنت لا تحترمه بالقول والفعل .

إذن . . فإذا أردت أن تشعر إبنك بحبك إياه . . عليك بتطبيق الإقتراحات العملية السالفة الذكر . وكلي رجاء بأنك عامل بها إنشاء الله تعالى وذلك هو أقصر الطرق للوصول الى قلوب الأطفال ومن ثم التأثير فيهم وجرهم لصالحك .

---

(١) الكافي (ج٦) ص٥٠ .

(٢) المستدرك (ج٢) ص٦٢٦ .

الفصل الثاني

تصابَ معهم .

يقول الرسول الأكرم (ص) في كلمة من أروع ما قيل في التربية :

« من كان عنده صبي فليتصاب له »[1] .

ويقول الإمام علي (ع) كذلك :

« من كان له ولد صبا »[2] .

هل رأيت كيف يلعب الصبي مع صبي آخر بقد عمره ؟

لا شك ان هذا المنظر يتراءى لك في اليوم ـ لربما ـ أكثر من مرة وأنت في البيت ، أو خارجاً الى عملك ـ في الطريق ـ أو عائداً منه .

فالطرقات والأزقة لا تكاد تخلو من وجود الأطفال وهم يلعبون وخاصة في بلادنا ذات المناطق الإجتماعية والأحياء المتآلفة .

تصور وكأنك في زقاق أو شارع أو في ملعب الأطفال ، وانظر كيف يتعامل الصبي مع الصبيان ، وكيف يلعب الطفل مع من هم في سنه .

أو أرفع بصرك ـ قليلاً ـ عن هذه السطور وأبصر أطفالك إن كانوا الى

---

(١) الوسائل (ج١٥) ص٢٠٣ .

(٢) فروع الكافي (ج٦) ص٥٠ .

جنبك ، أو تكلف قليلاً وأشرف عليهم من فوق الشرفة إن كانوا يلعبون في الحديقة أو في الساحة الأمامية للبيت .

انظر كيف يتصابى الطفل مع الأطفال . . ثم حاول أن تتصابى معهم ، وتكون كأحدهم .

إذن المطلوب أن تكون صبياً مع الصبيان وطفلاً مع ولدك حين اللعب ، ولكن مع فارق واحد هو أنك كبير ، ولا نريدك أن تكون صغيراً أبداً !

* * *

قد يتساءل هنا بعض الآباء عن ضرورة التصابي ، وأعتقد أن البعض قد يأخذ المسألة هذه بنوع من عدم الإهتمام .

ولكنني . . وبكل ثقة أمنيهم وأعدهم خيراً أنهم سينظرون الى هذه المسألة بمزيد من الأهمية وإدراجها ضمن منهجهم في التربية .

وذلك خلال الإطلاع على نتائج التصابي الخيرة مع الأبناء ، وهي كما يلي ، بعد أن تورد ملاحظتين نرى من الضروري الإشارة إليهما :

الملاحظة الأولى : لا تحسب أن نزولك الى الأطفال وتصابيك معهم سينال من شأنك وعظمة شخصك .

وكن على علم ان العظيم ـ فعلاً ـ لا يمكن أن يسقط من على قمة عظمته ، بمجرد نزوله الى الأطفال وتصابيه معهم .

وإن ذلك الذي يتصابى مع الأطفال هو ذلك الرجل العظيم ، لأن الجبل لا يخشى العواصف ، بينما الجبل المصنوع من الورق يخشى حتى نسيم الصباح .

وخذ مثالاً : النبي محمد (ص) وهو أكبر الأنبياء وأعظم رجل عرفته البشرية جمعاء .

يقول الحديث الشريف :

« عن يعلي العامري انه خرج من عند رسول الله (ص) الى طعام دعي إليه ، فإذا هو بحسين (ع) يلعب مع الصبيان ، فاستقبل النبي (ص) أمام القوم .

ثم بسط يديه . فطفر الصبي ها هنا مرة وها هنا مرة .

وجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه ، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه ، ووضع فاه على فيه وقبله »[1]

* * *

« وكان صلى الله عليه وآله » يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف لهم ، ثم يأمر بهم فيرفعون إليه ، فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم .

فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك ، فيقول بعضهم لبعض : حملني رسول الله (ص) بين يديه ، وحملك أنت وراءه ، ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم » .

* * *

الملاحظة الثانية : لا تنسى أن التصابي مع الأطفال يزيد في تواضعك ، ويبعدك عن حالة الزهو والكبرياء المقيتة ، واعلم انه قد تبين للكثير من الباحثين في علم النفس ، ان الأشخاص المصابين بعقدة التكبر يصدون عن التصابي مع أبنائهم واللعب معهم .

والإنسان المتكبر يحاول ـ دائماً ـ إجتناب الأطفال ، بل ويستنكف من

---

(١) المستدرك (ج٢) صفحة ٦٢٦.

الجلوس الى جنبهم . كما ويحاول تحقيرهم وإهانتهم بعمد .

* * *

والآن دعنا نرى نتائج التصابي واللعب مع الأبناء وهي كما يلي :

١ ـ أطفالك . . خير وسيلة للترفيه .

يقول طبيب متخصص بالأمراض العصبية : » جاءني ذات يوم مريض يشكو توتراً في نفسه وأعصابه ، ولما عرفت انه يمتهن عمل السياقة في مدينة كبيرة ، كتبت له بعض الدواء ، ونصحته باللجوء الى الراحة والترفيه المستمر .

بيد أنه تأفف وقال بيأس :

ـ لقد ذهبت الى الكثير من الأطباء ـ قبلك ـ ونصحوني بنفس هذه النصيحة . . ولكن ظروفي لا تسمح لي بالذهاب الى الحدائق والمنتزهات بشكل مستمر .

وهو بذلك وضعني أمام الأمر الواقع ، فأخذت أفكر بجد وأبحث عن الحل المناسب ، وبعد لحظات إهتديت الى فكرة ، وسرعان ما ترجمتها الى جواب فقلت للمريض المائل أمامي :

ـ هل لك أطفال ؟

ـ نعم . .

ـ كم عددهم ؟

ـ ثلاث أولاد وبنتان .

قلت :

ـ هل تلعب مع أطفالك ؟

قال :

ـ لا . . في الحقيقة إنني حالما أعود الى البيت ـ ليلاً ـ ألجأ الى

فـراشي . وأطلب من زوجتي إبعـاد أطفـالي عني بعـد أن أكتفي بتقبيلهم والجلوس معهم قليلاً !

عند ئذ نصحته بعكس ذلك ، وأمرته بالتقرب كثيـراً الى أطفالـه واللعب معهم كل يوم .

وبعد مضي ثلاثة أسابيع إتصل بي هذا الرجـل ليخبرني بشفـائه بعـد أن وجد في أطفاله خير وسيلة للترفيه » .

ويقول أحد الآباء : » ان خير منفّس لكربي وهمومي ـ دائماً ـ هو حينما ألجأ الى أطفالي وأقضي معهم بعض الوقت في ملاعبتهم ومناغاتهم » .

وقد وجدت بـالتجربـة : إن خير دواء هـو الأنس مع الأطفـال والضحك معهم ، في الأوضاع القاتمة ، فهم الذين يجلون الغمة من الصدور ويـدخلون الفرح والسرور الى القلوب . ولك في أولادك خير مثال .

٢ ـ توطيد الحب وتمتين العلاقة .

هل رأيت الأب الذي يلاعب أبناءه ؟

وهل رأيت الذي يصد عنهم ؟

ترى أيهما الذي يكسب أبناءه ويمتن الحب معهم ؟ بالتأكيد هو الأول .

وقد أثبتت التجارب حسب ما يقول الآباء الناجحون في التربيـة ـ إن من أفضل الوسائل لكسب الأبناء هي التصابي واللعب معهم .

٣ ـ طرد العقد النفسية . .

لقد تبين أن الكثير من المصابين بالأمـراض والعقد النفسيـة هم الأطفال المهملون الـذي يعيشون وسط أجـواء يسودهـا الضنك وينعـدم فيها المـرح ، حيث الآباء الصارمون المصابون بالجفاف في الأسلوب .

بينما الطفـل الذي يـرى رعايـة كاملة وإهتمـام بالـغ بشخصيته من قبـل

والديه ، فيجدهم يلاعبونه وينزلون اليه ويتصابون معه ، يكون طفلاً منشرح النفس يخلو من أي بذور للعقد النفسية .

٤ ـ تنمية الثقة فيهم . .

الثقة بالنفس صفة أساسية لبناء الإنسان السليم ، لذلك عكف الآباء والمسؤولون عن تربية الأطفال في دور الحضانة والمدارس ، على تنمية هذه الصفة ووجدوا أن من الطرق المؤدية الى هذا السبيل ، هو اشعار الأطفال بأهميتهم .

وذلك لم يتحقق بإلقاء المحاضرات ، أو بالقول لهم : » « أنكم ذو أهمية بالغة » وإنما يكون ذلك بالإهتمام بألعابهم .

وقبل ذلك . . باللعب والتصابي معهم . وهل هنالك أفضل طريقة لإشعار الطفل بأهمية ما يصنعه من طريقة النزول إليه واللعب معه ؟

ومن هنا نجد الإسلام يؤكد على التصابي مع الأبناء ، ويعير إهتماماً بالغاً لإلعابهم .

يقول الإمام الصادق (ع) :

« دع إبنك يلعب سبع سنين »

الفصل الثالث

مصادقة الأبناء . .

يقول الإمام علي (ع) :

« أعجز الناس من عجز عن إكتساب الأخوان »

قد تجد لنفسك تبريراً لعدم مصادقتك الناس أو لا تجد ـ وهو الواقع في أغلب الأحيان ـ ولكن هل هنالك تبريراً لعدم مصادقتك إبنك ؟

لماذا لا يصادق ـ بعض الآباء ـ أبنائهم ؟

إنني أجد من أشد الجفاء أن يترك الأباء مصادقة أبنائهم .

أو ليس إبنك أقرب الناس إليك ، وهو فؤادك الذي يتحرك بين يديك ؟

هذا بالإضافة الى أن الأب بمسيس الحاجة الى ربط العلاقة مع أبنائه .

أو ليس هو الذي قبل أي أحد يريد تربيتهم والتعامل معهم والتأثير عليهم ؟

ترى . . هل يستطيع المربي أن يمارس دور التربية وهو لا يكون صديقاً لمن يريد تربيته ؟

بالطبع : لا !

ولذلك فإن أنجح المدرسين ـ ليس ذلك الذي يمتلك بسطة في العلم والجسم ـ وإنما ذلك الذي يكسب قلوب التلاميذ ويصادقهم .

وليكن في خلدك : ان الأب الذي يصادق أبناءه يستطيع أن يؤثر فيهم

ويكسبهم إليه بكل سهولة وأبلغ تأثير .

ومن الملاحظ ان الطفل يتعلق تعلقاً شديداً بمن يحاول مصادقته والتقرب إليه ، سواء كان ذلك أحد والديه أو أي شخص أخر .

* * *

أتذكر أنه كان في محلتنا رجل طاعن في السن ، دأب على مصادقة الأطفال ، وكان شغوفاً بحبهم والتقرب إليهم . حتى انه إستطاع أن يكسب الكثير منهم ، ويترك أثره البالغ عليهم .

ترى ماذا كان يصنع هذا الشيخ ؟

لقد كان جيبه ـ دائماً ـ لا يخلو من قطع الحلويات ، والنقود الصغيرة التي كان يوزعها على الأطفال أينما وجدهم ، سواء كانوايلعبونفي الطرقات أو الذين يجلسون في أحضان أمهاتهم وأبائهم في الباص أو في المحاضر العامة ، وكانت شفتاه لا تفتأ تنفرج عن إبتسامات عريضة ، كما انه كان يحفظ الكثير من القصص والنكات التي كانت تستهوي الصغار إليه .

وأتذكر انه لما توفاه الله لم يحزن الأطفال لموته فحسب ، بل وحتى الكبار ، ذلك لأنهم كانوا يرجعون إليه حينما كانوا يريدون إقناع أبنائهم أو منعهم من شيء ، حيث كان ـ رحمة الله عليه ـ يترك أثره السحري في إقناع الأطفال والتأثير فيهم ، لعلاقته بهم .

* * *

والسؤال الأن هو : كيف توطد الصداقة مع أبنائك ؟

والجواب : إذا كنت ترغب في أن تكون صديقاً حميماً لولدك أو إبنتك ، يكون حرِّياً بك إتباع الطرق الفنية التالية :

١ ـ أسرد الأقاصيص النافعة لهم .

لقد وجدت بالتجربة ـ ولعلك وجدت ذلك أيضاً ـ ان أبلغ طريقة

لمصادقة الأطفال هي « سرد القصص لهم » .

فالأطفال يجتمعون حول من يسرد القصص عليهم كما تجتمع الفراشات حول الوردة المتفتحة في حديقة غناء .

وهناك الكثير من كتب القصص النافعة ، التي تستطيع إقتناءها من المكتبات ، لتزودك بمخزون منها .

ويفضل هنا أن تورد لهم القصص الصالحة التي تحمل الدروس والعبر ، والمعاني البالغة . وبهذا فإنك تكون قد ضربت عصفورين بحجر واحد ، فبنفس الوقت الذي تكون قد صادقتهم ، تكون من جانب آخر قد قمت بواجبك التربوي .

قال لي أحد الثائرين : « إن قصص الأنبياء والأئمّة والصالحين التي كانت تسردها لي والدتي أيام الطفولة ، كان لها الأثر الأكبر في مسيرة حياتي وبالخصوص قصة معركة الإمام الحسين في كربلاء » .

٢ ـ أظهر إهتماماً بهم .

يقول أحد الرجال :

كانت لي أختان صغيرتان ، إستطعت كسب ودهما ، وحبهما ، حتى الكبر بالرغم من ان فرصة حضوري معهما كانت نادرة وقليلة .

وكما أعتقد أن السبب الأكبر وراء ذلك ـ بالإضافة الى الأسباب الأخرى ـ إنني كنت أعيرهما بعض الإهتمام .

ترى ماذا كنت أصنع ؟

بالطبع لم أكن أصنع المعجزات ، وإنما مجرد إنني كنت أظهر إهتماماً بما يلعبون ، ويفعلون وما يلبسون ، كنت أسألهما ذلك .

ولهذا فإنهما كانا يعرضان علي حتى ملابس الدمى التي كانا يخيطانها ، والألعاب ، والرسوم ، وكانا يسهبان في الحديث والشرح وكلتاهن فرح وسرور

بما أبديه من إهتمام وتفاعل، وكنت وكأني أصغي لمحاضر قدير .

* * *

فالطفل مثل الكبار ، له إحساسه وشخصيته ، ويحب كل من يعيره أدنى إهتمام بشخصه، وبكل شيء يهتم هو به .

ولربما انك وجدت ذلك في طفلك ـ أو في الأطفال الآخرين ـ ولاحظت كيف يأتي إليك إبنك ويبدأ يعرض لك لوحاته الفنية التي رسمها بيده ، وألعابه التي إشتراها أو التي صنعها بنفسه .

ويحدث أحياناً كثيرة ـ وللأسف ـ ان بعض الآباء يضيقون ذرعاً لما يبديه أبناءهم فيولون وجههم عنهم ، أو يستهزؤن بإهتمامات أبنائهم الطفولية التي لا تهمهم ولا تنسجم مع إهتمامات الكبار .

فماذا عسى هذا الأب ـ الذي يهتم مثلاً بحرب النجوم ـ أن ينتفع بإهتمام أولاده ببعض الرسوم التي تعكر المزاج ، حسب ظنه !

بينما المطلوب المزيد من الإهتمام بقضايا الصغار وإن لم تكن تهمك أبداً

٣ ـ صاحبهم وتحدث معهم .

لكي تبدأ بتوطيد العلاقة مع أي شخص تريد مصادقته ، لا بد لك أن تقترب إليه وتصحبه معك وتتجاذب أطراف الحديث معه .

فالصحبة والحديث هما الخطوات الأولى لبناء الصداقة ، إذ لا يمكن أن تكون صديقاً لشخص ما عبر الأثير ، دون أن تلتقي به وتتحدث إليه وتصطحبه معك .

كذلك الأمر تماماً . . مع الأبناء ، فلا يمكن أن يكونوا أصدقاءك دون أن تصطحبهم وتتحدث معهم باستمرار وكأنهم أصدقاؤك .

* * *

قال لي بعض الأصدقاء : لم يكن والدي يصطحبني كثيراً معه ، وإذا حدث وإن إصطحبني لم يكن يتحدث معي إلا نذراً قليلاً ، حتى إنني ذات يوم ذهبت معه الى سفرة لمدينة أخرى ولما رجعت كنت قد أحصيت الكلمات مثل » إذهب . . تعال . . ماذا تأكل ؟ . . خذ هات . . إركب إنزل . . « إذ لم تكن تتجاوز الثلاثين كلمة ، بالرغم من أن الرحلة دامت منذ الصباح الباكر ، وحتى المساء !

إذن . . إذا أردت أن تكسب أبناءك فاصطحبهم في مذاهبك وروحاتك وأجزل الحديث النافع معهم ، ودعهم يتحدثون إليك ، ولا ضير من أن تتناقش معهم كما تتناقش مع أصدقائك الكبار ، في أمور السياسة وأحداث اليوم .

٤ ـ كن المساعد الأيمن لهم .

إن مساعدة الأبناء ، وقضاء حوائجهم من قبل الوالدين ، يبين مدى الإخلاص ويظهر الحب ، وبالتالي يزيد في توطيد العلاقة ويمتنها بشكل قوي لا تنفصم بعده أبداً .

وإن من أكثر الأدوار التي يمكن للأم أو الأب أن يكون مفيداً فيها هي :

١ ـ مساعدة الطفل من المساوىء والعقبات .

٢ ـ مساعدته في إعداد الواجبات المدرسية .

٣ ـ حل المشكلات لديه .

٤ ـ إرشاده الطريق السليم في الحياة .

الجزء الثالث

ثمان طرق لكي تملك زمام أبنائك دون أن تسيء إليهم او تستثير عنادهم

الفصل الأول : الشيء الذي يريده كل أب .

الفصل الثاني : كيف تجعل إبنك على وفاق معك ؟

الفصل الثالث : كيف تأمر أولادك ؟

الفصل الرابع : دع إبنك يحتفظ بماء وجهه .

الفصل الخامس : إمتنع عن إستخدام العصا.

الفصل السادس : ترك اللوم والعتاب .

الفصل السابع : كيف تتصرف مع أخطاء طفلك ؟

الفصل الثامن : إقبل ميسورهم ولا تكن صعباً .

الفصل التاسع : إجعل فنك مستشارك التربوي .

الفصل الأول

الشيء الذي يريده كل أب

ما هي المشكلة الرئيسية التي تعترضك ـ كأب ـ وأنت تقوم بتربية أبنائك ؟

هذا السؤال طرحته على كثير من الآباء ، فجاء الجواب ـ غالباً ـ أن المشكلة أو العقبة هي : « العصيان وعدم الطاعة الكاملة » .

وعلّل الكثير ـ منهم ـ ان سبب سوء التربية التي حظي بها أبناؤهم ، ترجع لإنفلات زمام الأبناء من أيديهم ، وقد قال بعضهم بالحرف الواحد « لو كان إبني يطيعني ١٠٠٪ لكنت قد سيرته وفق منهاج تربوي صالح وناجح في نفس الوقت ولكن ماذا أفعل وولدي يخالفني ويعصيني ؟ » .

وبالفعل فإن الإمام علي (ع) يقول :

« لا رأي لمن لا يطاع » .

ويقول :

« لا ينجح تدبير من لا يطاع » .

وقد لا يكون هذا الأمر مشكلة رئيسية لكل الآباء ، ولكنني أعتقد أن الشيء الذي يريده ويرغب فيه كل أب هو : « أبناء مطيعين على أحسن ما يرام » . وليس في ذلك ريب .

حسناً . . السؤال الآن : كيف تخلق الطاعة الكاملة في طفلك ؟ للإجابة على هذا السؤال ، لا مناص من طرح السؤال التالي :

لماذا يلجأ طفلك الى مخالفة أوامرك ؟

نقترح هنا أن تأخذ قلماً وورقة ، ونكتب الأسباب التي تدفع إبنك للعصيان ، قبل أن تقرأ السطور التالية .

وبالطبع فإن هناك إحدى عشر سبباً ، تدفع ولدك لعصيانك وعدم إطاعتك وهي كما أكدّها بعض الباحثين ما يلي :

١ ـ عدم معرفة الطفل بضرورة الطاعة .

٢ ـ إصدار الأوامر دون إعطاء أي رؤية وتوضيح للأمر وما يتعلق به .

٣ ـ التعامل مع الطفل ، كالتعامل مع الآلة ، أو التعامل مع الجندي الذي يجب أن يطيع القرار بلا نقاش .

٤ ـ أن يكون الأمر مخالفاً لرغبات الطفل .

٥ ـ عدم توفر الإستطاعة في الطفل لتحمل القرارات التي تكون فوق مستواه الجسمي والعقلي .

٦ ـ عدم مصادقة الأب إبنه .

٧ ـ فقدان الإحترام للأب .

٨ ـ إنعدام هيبة الأب وقدسيته .

٩ ـ عدم إمتلاك الأب قدرة السيطرة ، على زمام الأبناء ، لضعف شخصيته .

١٠ ـ سوء التربية .

١١ ـ الجهل بفنون المعاملة وإصدار الأمر .

* * *

وإذن لكي تحصل على أبناء مطيعين ، لا بد لك أولاً أن تقضي على أسباب العصيان ـ السالفة الذكر ـ فإن القاعدة تقول : « الوقاية خير من العلاج » .

ويقول المثل المعروف « إذا عرُف السبب بطل العجب » .

بعد ذلك يكـون من السهل عليـك خلق أبناء مـطيعين وفق إتباع الـطرق الصحيحة المعاكسة للأسباب السالفة ، ومحاولة تعديل المسار .

ونرجِو أن يتجلى الأمر ـ جيداً ـ في الفصـول القادمـة .

الفصل الثاني

كيف تجعل إبنك على وفاق معك ؟

حينما تريد أن تأمر إبنك بعمل أو بفعل شيء ما ، أو انك تريد أن تنهيه عن جملة الأفعال التي لا تحبذها فيه ، أو أي أمر آخر تريد أن يكون إبنك على غير خلاف معك ، وعلى رأي واحد متفق مع تفكيرك ونهجك . . فما هو السبيل الى ذلك ؟

وبسؤال كيف تسلس قيادة إبنك ؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل ندع القارىء المحترم يتساءل في نفسه : ترى كيف يستطيع الإنسان أن يسلس قيادة شخص آخر ؟ . بأي طريقة وأي أسلوب ؟

تماماً . . هكذا تستطيع أن تسلس قيادة أبنائك أو أي إنسان آخر .

ولعل الكثيرين يصلون الى هذه النتيجة وهذا القول الذي نؤكده نحن بأن ليس إلّا ثمة طريق واحد تحمل بها إبنك على أن يقبل على عمل ما . . تلك هي : أن تحبب العمل الذي تقترحه عليه .

نعم ان في وسعك أن تدفع طفلك الى تنفيذ إرادتك إذا لوحت له بالسوط أو بالعصا ! وبإستطاعتك أن تجعل موظفاً لديك يعمل ما تأمره به ، الى أن تدير له ظهرك غير أن هذه طرق ليست من الحكمة في شيء .

فالطريقة المهدية الوحيدة التي تجعل أبناءك يقبلون على العمل ـ أي عمل ـ هي أن تجعل ذلك العمل محبباً لهم .

فالطفل أو بالأحرى الإنسان لا يمكنه أن يقوم بإداء عمل ما باندفاع ذاتي وبفاعلية من دون الإيمان بذلك العمل .

ولا يمكن أن يؤمن أحد بشيء ما لم يحب ذلك الشيء ويعرف ضرورته .

يقول أحد علماء التربية : « حينما تحبب الشيء الذي تريده من إبنك . . عندئذ لابأس عليك من إصدار أوامرك » .

ومن هنا فإذا أردت ـ مثلاً ـ أن تجعل من إبنك يلتزم الهدوء فأن خير وسيلة لذلك أن تعينه في البيت مسؤولاً عن المحافظة على الهدوء . بعد أن تكون قد بينت له فوائد الصمت ومضار الفوضى والثرثرة .

ونأتي هنا بالمثال التالي :

كانت إحدى السيدات تتبرم بالصبية الذين يلهون أمام بيتها ويفسدون الزرع النابت في مدخله .

وقد جربت معهم اللوم والتعنيف لإبعادهم ولكن بلا جدوى . وأخيراً حاولت أن تضفي على أسوأ الصبيان في العصبة وأكثرهم عبثاً ، مركزاً وسلطاناً ، فجعلته « جاسوسها » ونصبته مشرفاً على حديقة منزلها وأوقد « الجاسوس » ناراً خلف البيت ، وحمي فيها قضيباً من الحديد ، وهدد أن يكوي به كل من يطأ الحديقة بقدمه !

وأفضل من كل ذلك هو أن تخلق الرغبة في طفلك لكي يقدم على العمل بما تأمره بكل إندفاع وفاعلية .

يقول أب لتسعة أبناء : « لم أكن أشكو أي عناء في قيادة أبنائي ، لقد كانوا يمتثلون أوامري بمجرد أن تطرف عيني أو تظهر إشارتي ، ولكنني كنت أشكو عصيانهم في غيابي على الدوام .

وفكرت ـ ذات يوم ـ تغيير الطريقة في التعامل ، وأصبحت فيما بعد

ألتزم الأسلوب الأفضل ، ذلك هو : إنني بدأت أطالع الأحاديث الشريفة ، واستطعت أن أحصل على مجموعة من الأحاديث التي تبين حقوق الآباء ، وتبين ثواب خدمتهم ، وجزاء طاعتهم ، مثل الحديث الذي يقول : « وأما حق أبيك فتعلم انه أحبك ، وانه لولاه لم تكن . فمهما رأيته في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فاحمد الله واشكره على قدر ذلك »[1] .

ثم بعد ذلك قمت بقرائتها على أبنائي بصورة مفصلة ، مع التأكيد على دور الأب ، والقيمة الكبرى للتعاون معه وإطاعته من أجل الحياة العائلية الأفضل .

بعد هذه العملية ـ والتي إستمرت عدة أسابيع ـ كنت قد وضعت حلاً لمشكلتي السالفة الذكر ، ولا أنسى إنني ـ في طريقتي الجديدة هذه ـ كنت كلما أردت أن أصدر أمراً لأحد ولدي ، بينت له فوائد ذلك العمل ، وألقيت في نفسه محبة نحوه .

---

(١) بحار الأنوار (ج٧٤) ص٦ .

الفصل الثالث

كيف تأمر أولادك ؟

يحدث أحياناً كثيرة ان بعض الأباء يريدون أن يحسنوا بإخلاص لكنهم لا يأمنون من الوقوع في هاوية الإساءة بسبب شيء بسيط وهو جهلهم بفن إصدار الأمر .

إن الذي جرت العادة عليه هو ان بعض الآباء ظنوا ان من حقهم إصدار الأوامر كزعيم نصّب نفسه على شعب يأمر فيطاع وينهي فيرتدع .

ونسي هولاء ان الأبناء بل والناس جميعاً يرفضون ما يصدر لهم من أوامر بينما لا يمانعون من تنفيذ ما يطلب منهم في صورة « رجاء » أو « تمني » أو ما شابه ذلك .

ويمكنك أن تجرب ذلك ، بأن تقول لأحد أبنائك :

« إني أتمنى أن تقوم بعمل كذا . .

فهو لا شك سيحاول أن يفعل ما طلبته منه . . بينما لو أصدرت له أوامرك ، فإنه قد يرد عليك بقوله : « لن أفعل » . وإذا سألته : لماذا ؟

فإنه يجيبك بشيء مبهم غير صحيح ، ولربما يقول ويفعل حياء أو خوفاً منك ، وفي واقعة يقول : « لماذا يجب علي إطاعة الأوامر ؟ »

إننا حين نقرأ القرآن الكريم نجد ان الله تعالى كثيراً ما يصدر أوامره في صيغة تمني أوترجّي ، أو في صيغة « يريد الله » أو انه يذكر صفات المتقين وعباده الصالحين ، بدون أن يطلب من الناس مباشرة وبفرض أن يتقوا . .

فكان يحسِّن الى الناس الإيمان والتقوى ، عبر ذلك .

يقول تعالى :

﴿ألم . . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الـذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . . ﴾

فهـو بدل أن يصـدر أوامره قـائلاً :(يـا أيها النـاس آمنوا بـالغيب وأقيموا الصلاة وانفقوا) . . يصف المتقين بذلك .

أو مثلاً بدل أن يصدر أوامره الاخلاقية يصف عباد الله الصالحين بقوله :

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياماً ﴾ . . [الى آخر الآيات] .

وهكـذا فـإنـه يجنـد إليـك صفـات المتقين ، وعبـاده الصـالحين بهـذا الأسلوب الرفيع .

وإذا كان الله ـ وهو جبار السماوات والأرض ، لا يصدر مطاليبـه دائماً ، في صورة أوامر فلماذا تصدر أنت لمن تحتك الأوامر دائماً ! !

وحري بك أن تجرب مع أبنائك ، فبدل أن تقول لأحدهم : « إفعل هذا وذاك » أو «لا تفعل هذا ولا تفعل ذاك » قل : هل لك في أن تفعل هذا ؟ » أو « إني أجد ان من الأفضل لـك أن تفعل كـذا » أو « أتظن ان من الأصـوب أن تفعل ذلك » ؟ فإنك بذلك تفسح لهم المجال لكي يتصرفوا من تلقـاء أنفسهم وفق ما تحب وتريد .

ذلك لأنه من الممكن أن ينفّـذ أبناؤك أوامـرك ولكن إذا صدر لهم الأمـر في صورة تمنيات ورجاء ، فإنهم حينئذ يندفعون من أنفسهم الى تنفيذه ، بينما صدوره في صورة « أمـر » يجعلهم ينفذونـه ، بمقدار ، « إسقـاط الواجب » أو « الخوف من العصى » .

فـالتمنيات تـدفع أبناءك، الى الإستجـابة لهـا في إطار « العـطاء » بينمـا

الأوامر تدفعهم الى تنفيذها بمقدار ما يقدم العذر . .

وهناك فرق كبير بين العطاء ، وبين التنفيذ ، فصاحب العطاء يحاول أن يأتي عمله في أحسن ما يكون ، بينما صاحب التنفيذ يحاول أن يأتي عمله بمقدار الواجب فحسب .

ثم ان أسلوب الإقتراحات والتمنيات ، يجعل من السهل على إبنك ـ أو على أي شخص آخر ـ أن يصحح خطأه ، لأنه يحتفظ له بكبريائه ، ويشيع فيه الإحساس بالأهمية ويسلس قياده ، ويدفعه الى الطاعة بدل أن يحفزه الى العناد .

إذن . .

لكي تصلح أبناءك ، وتؤثر فيهم قدم أوامرك في صورة إقتراحات أو تمنيات وتجنب إصدار أوامرك بصورة مباشرة وجافة .

وتذكر دائماً هذا الأسلوب الجميل الذي دأب عليه بعض الآباء مع أبنائهم ، حالما تريد أن تصدر أوامرك ، ولابأس بأن تحفظه نصاً :

« ولدي الحبيب إني طالما أبحث عن أفضل الطرق التي تستطيع بها أن تحرز نجاحاً وتقدماً في حياتك . . ولقد وجدت في هذا السبيل أن تقوم بعمل كذا . . ولك خالص شكري على طاعتك لي مسبقاً » .

الفصل الرابع

دع إبنك يحتفظ بماء وجهه

ذات مرة جاء رجل الى الإمام علي (ع) ، وطلب منه شيئاً لقضاء حوائجه ، فأعطاه الإمام ما طلب منه ، ثم بكى ، فتعجب الأصحاب من ذلك ، وتساءلوا :

ـ ما الداعي الى البكاء ؟

فقال لهم الإمام :

ـ أبكي لأنه أراق ماء وجهه بإضطراره الى السؤال ثم أردف قائلاً :

ـ أخاف أن لا يكون لي أجر عند الله ، لأن الأجر إستلمته مقابل إراقة ماء وجهه !

* * *

وفي الإسلام لا يجوز للإنسان أن يريق ماء وجهه لأحد ، فكيف به وهو يريق ماء وجه غيره ؟

وفي الحقيقة فإن مشاعر الإنسان ـ الصغير والكبير ـ ليست من الخرسانة المسلحة ، بل هي من الزجاج ، والزجاج ينكسر من صدمة حجر صغيرة ، وإذا إنكسر فلا يمكن إعادته الى وضعه السابق من دون أن يترك أثراً .

يقول الشاعر :

جراحات السنان لها التيام ولا يلتأم ما جرح اللسان

فلا يجوز أن تؤذي مشاعر طفلك ، وتريق ماء وجهه أمام الآخرين ،

واعلم أن ذلك يصنع جرحاً غائراً لا يندمل بسهولة .

وقد أثر عن الرسول الأكرم انه كان صلى الله عليه وآله يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسميه . فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله . فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال .

فيقول (ص) لا تزرموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله ، ثم يفرغ من دعائه أو تسميته فيبلغ سرور أهله فيه ، ولا يرون انه يتأذى ببول صبيهم ، فإذا إنصرفوا غسل ثوبه[1] .

* * *

وروي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ـ مرضعة الحسين (ع) قالت : أخذ مني رسول الله (ص) حسيناً أيام رضاعه فحمله فأراق ماءً على ثوبه ، فأخذته بعنف حتى بكى .

فقال (ص) : مهلاً يا أم الفضل إن هذه الاراقة ، الماء يطهرها فأي شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين ؟[2]

أما نحن فنعمد الى إيذاء مشاعر الآخرين ، ننتقد الطفل علناً وأمام الأغراب ، دون أن نقدر الجرح الغائر الذي نصيب به كبرياءهم ، بينما بضع دقائق من التفكير ، وكلمة مهذبة أو إثنتان وإختيار المكان والوقت المناسب للأمر والنهي والتقريع ، كفيلة بأن تخفف من وطأة اللطمة وتكسر حدتها . فدعنا نذكر هذا في المرة الثانية التي تواجهنا فيها نصح طفل أو لومه .

وخير طريقة للمحافظة على ماء وجه إبنك هي أن لا تدعه يشعر بالغبن والتقصير أمام الأخرين .

فإذا ما إعتلى إبنك الصغير ـ مثلاً ـ دراجة كبيرة وخشيت عليه من

---

(١) بحار الأنوار (ج٦) ص١٥٣ .

(٢) هدية الاحباب ص١٧٦ .

السقوط ، فلا تنظر إليه شزرا وتصرخ به ، وتقول لـه أمام الآخـرين إنزل !! أو تنزله بعنف .

هنا وفي حالات أخرى متشابهة عليك أن تتوسل بالطرق المهـذبة ، كـأن تحاول جر إبنك الى مكان آخر ، وتقوم بإرشاده ونصحه هناك لوحده .

وخير نصيحة تقـدم في هذا المجـال هي : الجأ الى التفكيـر الدائم ولا تتسرع ، فإنك ستظفـر بأفضـل الطرق والأسـاليب التي تدع إبنـك يحتفظ بماء وجهه ، بل وربما يحس بالفرح والغبطة بما تفعل وتقول .

يذكر منذ سنوات مضت كانت إحدى شركات الكهرباء تواجه مهمة دقيقة هي إقالة أحد الأشخاص من رياسة أحد أقسامها !

كان هذا الشخص عبقرياً في الكهـرباء ، ولكنـه ما ان عين رئيسـاً لقسم الحسابات بالشركة حتى أظهر عجـزاً فاضحـاً ، وبرغم ذلـك لم تجرؤ الشـركة على إنتقاده أو الإساءة إليه .

إذ لم يكن لهـا غنى عنه ، وكـان هو شـديد الحسـاسية مـرهف الشعـور فكيف حسمـوا هذه المشكلة الـدقيقة ؟ لقـد أضافـوا عليه لقبـاً جديـداً جعلوه « المهنـدس المستشـار للشـركـة » ثم نصبـوا شخصـاً آخـر لـريـاسـة قسم الحسابات .

وقد سر هذا الشخص الأول لهذا اللقب ، وسر كذلك مدير الشركـة فقد حلوا مشكلة دقيقة حساسة دون الإساءة الى هذا الإنسان .

* * *

وإليكم المثل الآخر :

بعــد معـارك طـاحنـة وقعت بين المسلمين وأعــدائهم إنتصـر الجيش الإسلامي ، وجيء بالأسرى الى رسول الله (ص) ، وكانت فيهم « سفانة إبنة حاتم الطائي » .

فلما وصلوا الى المدينة المنورة وقفت سفانة أمام النبي قائلة :

ـ يا محمد ! أنا إبنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحب مكارم الأخلاق، وما جاءه طالب حاجة إلا وردّه بها وبأحسن منها .

فقال رسول الله (ص) : من أبوك ؟

قالت : حاتم الطائي .

قال : حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه .

ثم أردف قائلاً : أطلقوها كرامة لها !

فقالت : أنا ؟ أم أنا ومن معي ؟

قال : أطلقوا من معها كرامة لها .

ثم أمر النبي بحمر النعم (الابل والبقر) فأعطى لها حتى سد ما بين جبلين .

فقالت : يا محمد هذا عطاء من لا يخاف الفقر !

فقال رسول الله (ص) : هكذا أدبني ربي فأحسن تأديبي .

ثم قالت : أي محمد ! هل أدعو لك ؟

فرفع النبي يديه .

فقالت : أصاب الله ببرك مواقعة ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة قوم إلا وجعلك سبباً لردها عليهم .

فقال النبي (ص) آمين . ثم أرسلها مع جماعة لإيصالها الى أهلها ـ هي مشركة وإبنة مشرك ـ وبعد ذلك إلتفت النبي الى أصحابه وقال قولته الشهيرة :

« إرحموا ثلاثة : ـ وحق أن يرحموا ـ عزيزاً ذل من بعد عزه ، وعالماً ضاع بين جهال ، وغنياً إفتقر من بعد غناه » .

وهكذا إحتفظ (ص) بماء وجه هذه الأسيرة وساعدها وأعطاها ما لم يخطر ببال .

فلماذا لا نتعلم من رسول الله ذلك ؟

* * *

وليكن في خلدك انك حينما تحافظ على كرامة طفلك ، وتتجنب إراقة ماء وجهه ، فإنه سكون الى طاعتك أقرب من معصيتك .

وهكذا هو الحال مع كل الناس ، لأنه من الطبيعي ان الذي تريق ماء وجهه يحاول أن يرد الإعتبار لشخصه ، فيمتنع عن الإستجابة لأوامرك ، بل وربما يقوم بردة فعل مضادة ، فيسبك أو ينعتك بسوء مثلاً .

وقد أثبتت التجارب ان المدراء والآباء الخافقين في إستحالة من هو تحت أيديهم هم الذين لا يؤدون إهتماماً لمشاعر الناس وأحاسيسهم .

بينما من يهتم بالحفاظ على كرامة الآخرين ينجح في تطويعهم إليه وبسهولة بالغة .

وفي القصة التالية خير مثال على ذلك :

يقول أحد المؤلفين :

« لقد إكتسبت أنا أكثر خبرتي بطبائع البشر أثناء نزهاتي راجلاً أو راكباً ، في حديقة بجوار منزلي ، وأنا أحب شجر البلوط حباً جماً ، لذلك طالما ساءني أن أرى هذه الأشجار الباسقة تقتلها الحرائق المتكررة .

ولم تكن تلك الحرائق ناجمة عن إهمال المدخنين ، ولكن معظمها كان ناشئاً عن أولئك الصبيان الذين يقصدون الى الحدائق ليتشبهوا بأجدادهم الأوليين ويطهوا طعامهم على نار يوقدونها تحت جذور الأشجار !

وكانت هناك لافتة تنذر كل من يشعل ناراً بالحبس أو الغرامة ولكنها نصبت في مكان من الحديقة غير منظور ، وقل من الرواد من وقع بصره عليها ! وكان أحد رجال البوليس الراكبين موكلاً بالإشراف على هذه

الحديقة ، ولكنه لم يكن يتشدد في أداء واجبه حيال هؤلاء الصبية فاستمرت الحرائق تتكرر موسماً بعد موسم .

وفي إحدى المرات هرعت الى الشرطي وقلت له النار تنتشر بسرعة في أرجاء الحديقة ، وطلبت إليه أن يستدعي رجال المطافىء ولكنه أجابني في جمود بأن هذا ليس من إختصاصه ما دامت النار لم تنتشر في منطقة نفوذه .

ودب اليأس في نفسي ، وعولت بعدها أن أعمل كما لو كنت « لجنة » موكلة بحماية مصالح الجمهور .

والحق انني لم أكن أهتم بما يهم الصبيان في مبدأ الأمر فكنت اذا رأيت ناراً مشتعلة هرعت الى مصدرها ونهرت الصبية وأنذرتهم بإبلاغ البوليس ان هم لم يطفئوا النيران .

نعم لم أكن أريد على أن ألقي بالحمل الذي يثقل كاهلي دون إعتبار لكرامتهم ! وماذا كانت النتيجة ؟ كان الصبية يطيعون والعناد باد في وجههم ، ومن المحتمل أنهم كانوا يعودون الى إشعال النار بعد إنصرافي ، ويتمنون لو أنها أتت على الحديقة بأكملها .

وبمرور السنين إكتسبت بعض الخبرة بالطبائع الإنسانية وبعض المعرفة والكياسة .

وعندئذ إنصرفت عن إصدار الأوامر ، وكنت بدلاً من هذا أذهب الى الصبية وأنا ممتط جوادي ، وأقول لهم شيئاً كهذا :

« لعلكم تتمتعون بوقت طيب أيها الرفاق ، ماذا تطهون للغذاء ؟ . . لقد كنت ـ وأنا مثل سنكم ـ شغوفاً بإشعال النار مثلكم تحت جذوع الأشجار لأطهو طعامي ، وما زلت أحن الى ذلك ، ولكن . . . أتدرون ان في إشعال النار خطراً يهدد هذه الحديقة الجميلة بالدمار أنا أعلم انكم لا تنوون شراً ، ولكن ثمة صبية غيركم يأتون الى هنا ويشعلون النار ثم لا يطفئونها وهم عائدون الى بيوتهم ، فتنتشر بين الأغصان الجافة ، وتلتهم هذه الأشجار الباسقة ! نعم أنها

مخـالفة للوائـح إن تشعلوا النار هكـذا ولكنني لا أريد أن أتخـذ هيئة المتسلط وأتـدخل في لهـوكم ، إني أحب أن أراكم تستمتعون بـوقت طيب ، ولكن . . هلا تفضلتم بإزاحة هذه الأغصان بعيداً عن النار ، وأعتنيتم بإهالة التراب على النار قبل إنصرافكم الى بيوتكم ؟ وفي المرة القادمـة هل لكم أن تشعلوا النـار على سفح التل ؟ إنها لا ضرر منها هناك ، شكراً جزيلاً أيها الرفاق وأرجو لكم وقتاً طيباً » .

مـا الفارق بين هـذا الضرب من الكـلام وذاك ؟ ان هذا الضـرب الأخير جعل الصبية يرغبون في أن يعملوا بنصيحتي ، فلم تنطق وجوههم بـالاستنكار والعناد . ذلك لأنهم لم يرغموا على اطاعة الأوامر ، واحتفظوا بكرامتهم كاملة غير منقوصة .

غداً قبل أن تسأل إبنك أن يطفىء ناراً ، أو يشتـري خبزاً من خبـاز ، أو يتبرع لهيئة خيرية ، لماذا لا تتمهل لحـظة وتغمض عينيك ، وتحـاول أن تفكر بأنجح الـطرق الغير مباشرة وتقوم بتنفيذهـا . وقد يستغـرق هذا وقتـاً ، ولكنه سيكسبك أبناءك ويجزيك نتائج باهرة في الطاعة وعدم العصيان .

الفصل الخامس

إمتنـع عن إستخدام العصـا

قمت ذات مـرة بإدارة وتـدريس جمـع من الأطفـال في معهـد خاص للتربية ، وخـلال تلك المدة إكتسبت بعض الخبـرة بطبـائع الأطفـال ، وبعض المعرفة في التربية التطبيقية .

وقد إستطعت أن أكتشف مستوى نجاح الآباء وإخفاقهـم في التربيـة من خلال شخصيات أبنائهم ، وكان ممن رأيت إبناً في التاسعة من عمره لقـد كان هـذا أفضل الأولاد على الإطـلاق من ناحيـة الـذكـاء والـطاعـة ، والمبـادرة ، والشجاعة ، ، والإلتزام ، وكل الصفات الخيرة ، وكانت الطاعـة بالخصـوص صفته المتميزة .

ولكي أكتشف السـر في ذلك إلتقيت مـع والـده وطـرحت بعض الأسئلة عن سبب نجاحه في التربية ، وبالخصوص عن كيفية خلق صفة الطاعة التـامة في ولده ، فأجاب الأب هذا إجابات حكيمـة ، والشيء المهم الذي قـاله هـو عدم إستخدامه الضرب ولا لمرة واحدة خلال تربيته لأبنائه .

وأتـذكر إنني لم أكن أعصي أمـراً لوالـدي قط ، وكنت أقـوم بـإطـاعتـه لمجرد أن يشير لي أو يتفوه بكلمة ، لم يكن ذلك خوفاً من العصي ، إذ انه لم يضربني طوال حياتي إلا لمرة أو مرتين وبصورة طفيفة .

وقد تبين أن أكثر التلاميذ المتمردين على أساتذتهم ـ خلال بحث أجري في بعض مـدارس البنين الإبتـدائيـة ـ هم اللذين لم تسلم جلودهم وظهـورهم

من الضرب ، سواءً من قبل الأم أو الأب .

بينما ثبت العكس ـ تماماً ـ إن كل المطيعين هم أولئك الأطفال الذين لم يمارس بحقهم الضرب .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« لا تضربوا أطفالكمْ على بكائهم ، فإن بكاءهم أربعة أشهر شهادة ان لا إله إلا الله ، وأربعة أشهر الصلاة على النبي ، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه » .

وهنا قد تسأل : إذن ما هو الحل مع طفل مشاكس ؟

الجواب :

أولاً : يجب أن تقوم بتربية إبنك منذ البداية ، أي قبل أن يكون مشاكساً أو سيئاً ، وتحل المسألة من الجذور . ولقد قال الإمام علي (ع) لإبنه الحسن : « فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك » !

ثانياً : إهجر إبنك لفترة قصيرة ، حتى تشعره بانك غير مرتاح لسلوكه وفعله ، وهذه لعمري أفضل طريقة لإشعار الأبناء بتقصيرهم ، ومن ثم إرتداعهم ورجوعهم الى الصواب .

لقد جاء في الحديث الشريف أن بعض الصحابة قال : « شكوت الى أبي الحسن (ع) أبنائي فقال : لا تضربه واهجره ولا تطل » ![1]

ونحن هنا لكي نبين خطأ إستعمال العصي ، يكفي أن نورد مساوىء الضرب ، وندع القارىء ليختار بنفسه الطريقة التي يراها هي الأفضل .

إليك بعض مساوىء الضرب :

١ ـ فقدان المحبة والإحترام . فالطفل الذي لا يجد غير العصي ولا يرى غير الأيدي التي تبطش به يكون أبعد عن حب وإحترام والديه من ذلك الذي لم يجد الضرب .

* * *

(١) بحار الأنوار (ج٢٣) ص١١٤ .

والمثال التالي يبين ذلك . . الطفلة (س) . . عمرها ١١ عام . . دأبت هذه الطفلة على أن تلح على أمها لتأتي يومياً الى المدرسة وتعود بها الى المنزل ، ولكن الأم أصرت على انها يجب أن تركب (الأوتوبيس) أو التاكسي . . في الأيام التي تحول مشاغل الأم دون ذهابها (أي الأم) الى المدرسة لإحضارها . . وذات مرة ثارت الطفلة (س) بعد هذه المحاولات المعتادة ثورة شديدة ، ثم حدجت أمها بنظرة ملؤها الحقد والمرارة وصرخت فيها قائلة « إسمعي . . إنني أكرهك لأنك لم تحبيني مطلقاً . . إنك لم تصنعي لي أي شيء مطلقاً . . وكنت معي باستمرار ساخرة وعنيفة .

والقصة لم تتوقف عند هذا الحد . . بل قالت الأم لإحدى جاراتها : « لقد صدمتني عبارات إبنتي لأول وهلة وشعرت بالألم والحسرة والضيق . . ولكن الذكريات تتابعت فجأة في خاطري . . وذكرت عهد الطفولة . . طفولة إبنتي ومشاجراتي مع أبيها دائماً بشأن أمورنا المالية والمعاشية ، تذكرت كذلك اني كنت أعالج شئونها بدون وعي في كثير من الأحوال . . إنني أذكر كم غضبت مني وأنا أعاقبها بالتعنيف . . وأذكر إننا كنا نقوم بضربها لتقلع عن طباعها السيئة المتقلبة . . وها أنا أرى انها ما زالت تحتفظ بإستيائها مني . . وكرهها لي . . وان غضبها إزداد بعدم ذهابي لإحضارها من المدرسة . . فأضافت هذا الغضب الى غضبها الدفين الذي كان مصدره إنني كنت أعالجها بالضرب بدلاً من التوجيه والتأديب بالكلام .

وللأسف الشديد ان بعض الآباء يظنون ان التأديب يعني الضرب والأب أو الأم التي لا تضرب أبناءها تعتبر غير مؤدبة !! بينما الحقيقة أن الضرب يعتبر أسلوباً خاطئاً في التربية والتأديب .

٢ ـ الضرب يستثير العناد .

في الحقيقة ان الطفل الذي يتعامل معه بلغة العصي ، لا يكون مطيعاً

في أغلب الأحيان . بل ، ولربما يؤدي به الضرب الى العناد وعدم الرضوخ .

ذلك لأن الصغير حينما يضرب ويهان أمام الآخرين ، فإنه يحاول أن يعيد ماء وجهه وكرامته بأي شكل من الأشكال ، كأن يقوم بكسر زجاج النوافذ ، أو تجده يتمسك بموقفه الخاطىء أو يفعل أي شيء آخر لا يرضي الوالدين .

وقديماً قيل على لسان أحد الحكماء : « ان من الغبن أن يلتجأ الآباء الى العصي في التأديب ، دون اللجوء الى العقل واللسان » .

واني أتساءل : فيما لو قام أحد الأطفال بعمل مشاكس كأنه قام بتحطيم كأس الماء مثلاً ، ترى أي الطريقتين هنا أفضل وأبلغ تأثيراً ، هل الضرب أم التأديب باللسان والعقل ؟ !

إنني هنا أحاول أن أترك الإجابة لمن يسمح لنفسه بالتفكير الهادىء ، ليتوصل الى الحل الذي يراه واقعياً وسليماً .

٣ ـ الضرب يلهب الأجواء ، ويسلب الهدوء .

خلال معايشتي الوسط الإجتماعي واقترابي من بعض العوائل وجدت الكثير من الآباء المتصلبين الذين ينتهجون سياسة الضرب في تربية أبنائهم .

وكان أشد ما آلمني هو حزني ليس على الأبناء المضروبين فقط بل كان أكثر حزني على الآباء .

نعم . . ان حزني وأسفي عليهم ، لأنهم يقومون بالإساءة الى أنفسهم ، ويلحقون بها أشد الأذى وهم لا يشعرون .

فالآباء يسيئون الى أنفسهم ـ حينما يستخدمون العصى ـ قبل الإساءة الى أبنائهم ، وذلك حينما تلتهب الأجواء ، ويسودها التوتر وتحترق الأعصاب ، ويعم البكاء أرجاء المنزل ، وبالتالي يغيب الهدوء وتنسحب البسمة من على الشفاه .

وخصوصاً فيما إذا كان هنالك ضيف في المنزل ، فإنه سيتشائم ولربما يظن ان أصحاب البيت على غير إرتياح من ضيفهم !

ولم يحدث ان قام أحد الوالدين بضرب أحد أبنائه إلا وتعكر الجو ، وسيطر التوتر على الجميع .

حتى إنني أتذكر جاراً لنا ، لم يكن بيتهم يعرف الهدوء والفرح فالأم والأب كانا يعتمدان ان الضرب الوسيلة الوحيدة والدائمة في النصح والتأنيب والإرشاد .

على سبيل المثال :

حينما كان الابن يحاول الخروج الى فناء البيت ، ولأن الأمطار كانت تبلل الأرض ، كانت الأم تمنع ولدها من الخروج ، الى حديقة المنزل وبالطبع فإنما كانت ترجعه بالضرب ، وكلما كان يفلت من يدها أرجعته بالصفعات وهكذا . . فإذا بها وقد أصبح شغلها الشاغل كيل الصفعات تلو الصفعات على وجنتي طفلها الوادع .

أو أحياناً كانت تضرب إبنها لمجرد انه كان يخرج بصحبة دراجته خارج المنزل أو حينما كان ينزع نعليه ، أو يرجع الى البيت وقد تعلقت بأطراف ثوبه بعض حبيبات التراب .

وهكذا فالضرب ، وإستخدام العصي كان هو الوسيلة الوحيدة لهذه الأم ، وكذا هو زوجها كان أيضاً .

وبالرغم من ان هذا الأسلوب لم يكن يجدي ولم يترك أي أثر إيجابي يذكر ، فهو أسلوب ـ في نظر الكثيرين ـ أسلوب أرعن لا يخلو من الحماقة والسفه ، ولا يتعدى حدود الجهل .

ناهيك عن الإثم الذي يتعلق به ، والجزاء الأليم يوم القيامة .

لقد جاء في أحكام الديات في المسائل الإسلامية الفقهية ما يلي :

« إذا إحمر الوجه باللطم أو بغيره ، فديته مثقال ونصف مثقال شرعي ذهباً (وكل مثقال ١٨ حمصة) وإذا أخضر فديته ثلاث مثاقيل ، وإذا أسود فستة مثاقيل ، ولكن إذا إحمر مكان آخر من بدن الإنسان أو اخضر أو إسود بسبب اللطم فديته نصف ما ذكر » .

وقد يتساءل البعض هنا : وهل تجب الدية على الأب أو الأم اللذَّين يريدان التأديب والتربية ؟

قد لا تجب الدية في الحلات الضرورية للتأديب ، ولكن أشك في عدم وجوبها في الضرب الأرعن الذي يأتي من الحماقة والجهل ولأتفه الأسباب .

لقد أبلغ الإمام علي (ع) بعض الصبيان وقال لهم : « إبلغوا معلمكم ان ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب إقتص منه » .

٤ ـ الضرب لا يحقق الردع الدائم .

قد يفلح بعض الآباء بردع أبنائهم عن فعل المعاصي والأخطاء السيئة بالتلويح بالعصي الحارة ، وقد ينجحون في ترويضهم بالترويع والتخويف .

ولكن السؤال المطروح : هل يفلح هؤلاء الآباء في ذلك بشكل دائم ومستمر ؟

هل الخوف من العصي يؤثر في المكان الذي لا وجود فيه للآباء ؟

إن الردع الذي منشأه الخوف من الضرب لا يلبث حتى يزول بعد أمد قصير .

بينما التوجيه والتأديب بالنصح والكلام يكون أثره طويلاً ، ولربما يبقى الى نهاية عمر الإنسان .

ولذلك ـ على سبيل المثال ـ كانت التقوى ضرورة دينية وحضارية لأنها تخلق الوازع الداخلي في الإنسان ، فتصده عن إرتكاب السيئات والإنسان المتقي لا يحتاج الى مراقبة من قبل الشرطة أو أي أحد حتى لا يسرق أو

يعتدي لأنه قد وضع الله (تعالى) مراقباً عليه في السر والعلانية ، ولهذا فإن خلق الوازع النفسي في الطفل خير رادع له عن إرتكاب الموبقات . .

وبالطبع فإن الضرب لا يحقق الوازع الداخلي وإنما هو حل يعالج النتائج دون الأسباب والجذور ، والواقعة التالية خير مثال على ذلك .

كان أحد الآباء يمسك بتلابيب إبنه ، وقد أشبعه ضرباً باليمين ولم يتركه لولا تدخل الحاضرين وإنقاذ الولد .

بعد ان هدأت فورة الأب ، قلت له سائلاً :

ـ لماذا كل هذا الضرب ؟

قال :

لأن ولدي إعتدى على أحد الرجال !

قلت :

ـ ولماذا إعتدى ؟

قال بإقتضاب :

ـ لأنه شيطان ! !

قلت بعد أن إعتذرت له عن توالي الأسئلة :

ـ وما هو السبب الذي جعل منه هكذا ؟

ثم أضفت قائلاً بصراحة بعد أن صمت الأب حائراً :

ـ في تصوري ان السبب قد يرجع للتقصير في التربية . . أليس كذلك ؟ ؟ !

قال : لا . . والله . . لقد كنت أضربه كثيراً ومنذ صغره ولكنه كان يزداد سوءاً يوماً بعد يوم ! !

* * *

هذا بالإضافة الى أن الضرب يصبح أداة غير فاعلة ويفقد قيمته ،

فالطفل الذي تكون حصته في اليوم عدة وجبات دسمة من الضرب فإن شعوره وإحساسه يكون ميتاً ، مثلما قال الشاعر :

« من يهن يسهل الهوان عليه . . ما لجرح بميت إيلام » .

إن نظرة حادة تكفي لردع الأبناء الـذين لـم يمارس بحقهم الضـرب بينما ألف ضربة قد لا تترك أثراً في نفوس الذين تعودوا على الضرب .

تماماً . . كما قيل : إن منشوراً واحداً يهز كيان الدولة المستبـدة ، بينما عشرات المظاهرات المعارضة لا تخيف الحكومة الديمقراطية .

وأخيراً لنتذكر المثل التالي كلما واجهنا مشكلة مع الأبناء :

« العقدة التي تحل باليد لا تحلها بأسنانك » .

ولكن . . ماذا عن العقدة التي لا تحل باليد ؟

هنا لابد من حلها باسنانك ، لأن « آخــر الـدواء » الكي « كما جـاء في المثل :

ولابـأس بالضـرب في الأمور التي لا تنـازل فيها ، مثـل تـرك العبـادات الواجبة وإرتكاب المعاصي .

فلا بد أن يضرب الأبناء حين تركهم للواجبات الدينية ، ولكن بعد أن لا يكون هناك مجال للتوجيه والتحذير المسبق ، وإلا . . فلا .

تلك كانت مساوىء الضرب ، فإن إجتنبتهـا إستطعت كسب المـزيد من الراحة والإيجابيات ، التي تسر ولا تضر .

الفصل السادس

أترك اللوم والعتاب

قال أحد الشبان :

« كنت في الصغر من المحافظين على الصلاة في المسجد ، وذات يوم وفيما أنا أصلي ، لاحظت أحد كبار السن يراقبني حتى فرغت من الصلاة .

فقال لي : صلاتك خطأ . . ثم بدا يوجه لي كلاماً لاذعاً ، كأنه سياط الجلادين ، وأنا غارق في صمتي أردت أن يعرّفني بموقع الخطأ من صلاتي ، رفض ذلك ، وكل ما قاله لي هو انك خاطىء في الصلاة ومثلك لا يجوز له الحضور الى المسجد .

عندها قررت أن أترك الصلاة في المسجد ، وأن أصلي في البيت وهذه الخطوة كانت الأولى لتركي الصلاة فيما بعد ، وانحرافي عن طريق الإسلام ، حتى هداني الله وعدت إليه ثانية الآن » .

هذه القصة ليست الوحيدة التي سمعتها ، فكم من شباب أخرجهم العتاب عن الإيمان ؟ ذلك ان اللوم والعتاب والإنتقاد الجارح معاول هدم ، لعلاقة الإنسان بقيمه ومبادئه . كما هي معاول هدم للعلاقات مع بني الإنسان .

إن ما يبعث على الأسف في مجتمعنا هو أن تصبح ظاهرة اللوم والعتاب ـ في الجانب التربوي ـ هي الطريقة المثلى لدى الآباء ، حينما يريدون تربية أبنائهم .

فما يكاد الطفل يعمل خطأ بسيطاً حتى ينزل عليه أحد الأبـوين بسلسلة من الملامة ، فينتج من هذا الأسلوب التربوي طفلاً معقداً ، ثم يصبح مهزوزاً في الشخصية عند الكبر .

ذلك ان الآباء عندما يلومون الطفل دائماً على أخطائه البسيطة فإنـه ينتج من ذلك أحد أمرين :

١ ـ أما أن يصاب الطفل بعقدة الحقارة ، فتنمو عنده هذه العقدة ، ومع الكبر يصبح فرداً ضعيف الثقة بالنفس ، لا يستطيع إقتحام العقبات .

٢ ـ وأما أن يصاب بعقدة اللامبالاة أمام الأخطاء وهذه لا تقـل خطورتهـا عن السابقة .

ومن هنـا فإن علينـا أن ندرب أنفسنـا وعوائلنـا على عـدم تـوجيـه اللوم والعتـاب ، حتى نساهم جميعـاً في بنـاء الأطفـال بعيـداً عن العيـوب والعقـد النفسية البغيضة .

ولنستمـع الى روايـات أهــل البيت (ع) في ذلـك ، لنستخلص منهـا الأسلوب الأنجح في التعامـل مع النـاي والأبناء حينمـا يخطؤون أو حينمـا لا يقومون بواجبهم بشكل جيد .

يقول اثلإمام علي (ع) :

« عاتب أخاك بالإحسان إليه . . واربط شره بالأنعام عليه » .

فإذا أرسلت إبنك إلى عمل معين ، ولم يؤد ذلك بالطريقة المطلوبـة فلا تصـدمه بلومـك وتوبيخك، إنمـا قدم لـه هديـة وقل لـه انجز العمـل في المرة القادمة بصورة أحسن . .

إن ضميـره في هذه الحـالة سيؤنبـه ، وسيقـوم على أثـره بتحسين عمله وإداء واجبه بشكل حسن .

يقول الإمام الباقر (ع) :

« العتاب مفتاح التقالي » .

أي مفتاح التباغض والتنافس ، فإذا أردت أن تحرك عواطف التباغض في علاقتك مع أبنائك فعاتبهم دائماً . . وإلا فاترك العتاب .

وجاء في الحديث الشريف :

« لا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره وإن علمت انه كاذب » .

وحينما تقبل العذر من الأبناء فأنت بذلك إنما تحترم نفسك كما تحترم أبناءك حيث تضع نفسك فوق العتاب واللوم .

فعندما يكسر طفلك زجاجة ، فلا تضربه أو تلومه ، وإنما قل له : هذا خطأ وإذا لم تفعله مرة أخرى سأعطيك جائزة وإذا فعلته فسوف تخسر جائزتك لأننا سنشتري محلها زجاجة أخرى .

وقد ينفع العتاب مع الأطفال في المرة الأولى والثانية ولكنه عبر التعود عليه سيصبح ذلك أمراً عادياً عندهم ، ولن يجدي فيهم شيئاً .

وما أجمل قول الشاعر بشأن اللوم والعتاب :

اني ليهجرني الصديق تجنبا	فأراه ان لهجره أسبابا
فأراه ان عاتبته أغريته	فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا إبتليت بجاهل متحلم	يجد المحال في الأمور صوابا
أوليته من السكوت وربما	كان السكوت عن الجواب جوابا

إن أفضل طريقة للعتاب ، هي ترك العتاب ، وقد ورد في التاريخ أن شخصاً أتى الى أحد الأئمة (ع) ووجه للإمام الشتم والسباب . ولكن الإمام سكت ولم يرد عليه .

فقال له أصحابه : يا بن رسول الله ! لماذا سكتَّ عنه ؟ فرد عليهم الإمام :

ـ لقد فعلت !

إن ترك العتاب أفضل طريقة تعاتب بها إبنك ان حصل منه ما لا يليق

ثم أن اللوم إضاعة للوقت .

كما أنه بداية للفساد .

وهو حتماً لا يصلح الأبناء .

واللوم يجعل الأطفال أما يشعرون بالحقارة ، وأما يتمتعون بمناعة أمام اللوم والتقريع .

* * *

وإذا أحسست بالرغبة في إنتقاد أطفالك ولومهم ، كلا لن أنهاك بل أرجو فقط أن تقرأ هذه المقالة ـ قبل أن تنتقدهم ، فهي عبارة عن مخاطبة أب ـ لإبنه حيث يقول فيها :

« يا بني !

إكتب هذا وأنت راقد أمامي على فراشك ، سادر في نومك وقد توسدت كفك الصغير ، وانعقدت خصلات شعرك الذهبي فوق جبهتك الغضة .

فمنذ لحظات خلت كنت جالساً الى مكتبتي أطالع الصحيفة وإذا بغيض غامر من الندم يطغي علي فما تمالكت إلا أن تسللت الى مخدعك ووخز الضمير يصليني ناراً .

وإليك الأسباب التي أشاعت الندم في نفسي :

أتذكر صباح اليوم ؟ لقد عنفتك وأنت ترتدي ثيابك تأهباً للذهاب الى المدرسة ، لأنّك عزفت عن غسل وجهك ، واستعضت عن ذلك بمسحه بالمنشفة ، ولمتك لأنك لم تنظف حذاءك كما ينبغي . . وصحت بك مغضباً لأنك نثرت بعض الأدوات عفواً على الأرض !

وعلى مائدة الأفطار أحصيت لك الأخطاء واحدة واحدة فقد أرقت

حساءك والتهمت طعامك ، وأسندت مرفقيك الى حافة المائدة ، ووضعت نصيباً من الزبد على خبزك أكثر مما يقتضيه الذوق !

وعندما وليت وجهك شطر ملعبك ، واتخذت أنا الطريق الى محطة القطار ، إلتفت إلي ولوحت لي بيدك ، وهتفت : « مع السلامة يا بابا » وقطبت لك جبيني ولم أجبك ، ثم أعدت الكرة في المساء ففيما كنت أعبر الطريق لمحتك جاثياً على ركبتيك تلعب في التراب ، وقد بدت على جواربك ثقوب ، فأذللتك أمام أقرانك ، إذ سيرتك أمامي الى المنزل مغضباً باكياً . إن الجوراب ، يا بني ، غالية الثمن ولو كنت أنت الذي تشتريها لتوفرت على العناية بها والحرص عليها .

أفتتصور هذا يحدث من أب ؟

ثم أتذكر بعد ذلك ، وأنا أطالع في غرفتي كيف جئت تجر قدميك متخاذلاً ، وفي عينيك عتاب صامت، فلما نحيت الصحيفة وقد ضاق صدري لقطعك علي حبل خلوتي ، وقفت بالباب متردداً وصحت بك أسألك « ماذا تريد ؟ ! »

لم تقل شيئاً ، ولكنك أندفعت إلي ، وطوقت عنقي بذراعك وقبلتني وشددت ذراعيك الصغيرتين حولي في عاطفة أودعها الله قلبك الطاهر مزدهرة لم يقو حتى الإهمال على أن يذوي بها !

ثم إنطلقت مهرولاً تصعد الدرج الى غرفتك !

يا بني . .

لقد حدث ، بعد ذلك ببرهة وجيزة ، أن إنزلقت الصحيفة من بين أصابعي وعصف بنفسي ألم عات .

يا الله ! إلي أين كانت « العادة » تسير بي ؟ ! عادة التفتيش عن

الأخطاء ؟ ! عادة اللوم والتأنيب ؟ ! أكان ذلك جزاؤك مني على أنك ما زلت طفلاً ؟ !

كلا ! لم يكن مرد الأمر أني لا أحبك ، بل كان مرده أني طالبتك بالكثير ، برغم حداثتك في قرارة نفسك تعفو وتغضي . . وكان قلبك الصغير كبيراً كبر الفجر الوضاء في الأفق الفسيح . . فقد بدا لي هذا في جلاء من العاطفة المهمة التي حدث بك الى أن تندفع وتقبلني قبلة المساء !

لا شيء يهم الليلة يا بني ! لقد أتيت الى مخدعك في الظلام وجثوت أمامك موصوماً بالعار .

وأنه لتفكير ضعيف !

أعرف أنك لن تفهم مما أقول شيئاً لو قلته لك في يقظتك ولكني من الغد سأكون أباً حقاً ، سأكون زميلاً وصديقاً . . سأتألم عندما تنام ، وسأضحك عندما تضحك ، وسأعض لساني إذا إندفعت إليك كلمة من كلمات اللوم والعتاب ، وسأرد على الدوام ـ كما لو كنت أتلو صلاتي ـ « أن هو إلا طفل » :

لشد ما يحز في نفسي إنني نظرت إليك كرجل . . إلا أنني وأنا أتأملك الأن منكمشاً في مهدك ، أرى أنك ما زلت طفلاً . وبالأمس القريب كنت بين ذراعي أمك يستند رأسك الصغير الى كتفها .

وقد حملتك فوق طاقتك . . . !

الفصل السابع

كيف تتصرف مع أخطاء طفلك ؟

إن حياة الأطفال مليئة بالأخطاء ، فهم يخطئون في المشي ويخطئون في الكلام ويخطئون في الأكل ، ويخطئون في التصرف ، ويخطئون في كل شي ، والسبب لأنهم صغار بعد لم يتعلموا الأشياء والأمور ، ولم يبلغوا درجة النضج والحكمة .

ومن هنا فإذا تصرف أحد الكبار تصرفاً غير سليم يقال عنه أنه طفل !

إذن ليس غريباً حينما يرتكب الأطفال الأخطاء تلو الأخطاء طالما هم أطفال .

وحتى الكبار ، فإن حياتهم لا تخلو من بعض الأخطاء ، وحالات الفشل ذلك لأن الإنسان ليس معصوماً من الخطأ والزلل .

والسؤال الآن هو :

كيف يجب أن تتعامل مع أخطاء أطفالك ؟

وماذا يجب أن تفعل ؟

وماذا يجب أن تقول ؟

وقبل الإجابة على ذلك لا بد أن نعرف أن طريقة البعض في تكبير الأخطاء، أو التغافل عنها ، خاطئة فلا يجوز « عدم توقع الخطأ » كما لا يجوز تكبيره إذا وقع . .

والصحيح هو التعامل مع الأخطاء كأمور « محتملة » ، وفي نفس الوقت « قابلة للعلاج » .

أي لا بـد أن تبقي جـذوة الأمـل في قلب الـطفـل ولا تجعله ييـأس من إصلاح خطئه .

إن الخطأ الأكبر هو حينما لا يجعل الآباء أخطاء أبنائهم « قابلة للعلاج » حينئذ فإنهم بذلك يجنون أسوء النتائج وأبسطها تمسك الأبناء بـالأخطاء وعـدم تركها الى الأبد .

وهذا ما يجب الإنتباه إليه والحذر من عدم الوقوع فيه .

ونعود الى السؤال السابق : كيف نتصرف مع الأخـطاء . . فنقول هنـاك أكثر من طريقة للتعامل مهم وفيما يلي نذكر أهم طريقة وهي :

عدم جرح كبرياء الأبناء إذا إرتكبوا خطأً . .

تـأكد أنـه لا يوجـد إنسان على وجـه الأرض مستعد أن يستمـع الى أي كلام فيه جرح لكبريائه . . حتى ولو كان فعـلاً مخطئـاً ، أو مقصراً ، ذلـك أن نفس الإنسان عزيزة عليه ولا يقبل أن يخدشها أحد .

وقد تسأل : إذن ماذا نفعل مع المخطىء ؟ هل نشجعه على أخطائه ؟

الجواب : بإستطاعتك أن تدفعه الى الإعتراف بخطئه ، بدل أن تدفعه ـ عبر أشعاره بالخطأ ـ الى الإصرار عليه . .

فمثلاً : لو أنك قلت لمن أبدى رأياً خاطئاً :

« لكلامك مبرراته ، ولكن هنالك رأي آخر . . » .

في مثل هذه الصورة ، لن يرفض كلامك بسرعة ، بل سيفكّر فيه .

بينما لو بدأت كلامك معه بقولك : أنت مخطـىء والرأي الصحيح هو كذا » .

فإنه سوف يصر على رأيه ، إنتقاماً لكبريائه ، وسيقول لك . هو الآخر ـ

لا . . أنت مخطىء ، والرأي الصحيح هو ما ذهبت اليه ! » .

فكمـا إنك وجهت لـه الكلام ، دون مـراعاة لمشـاعره فـإنه سيـواجهك بالمثل ، ولن تجني إلا ما زرعت .

* * *

والمثل التالي من أروع صور التعامل مع الأخطاء بصورة غير مباشرة :

« ذات يوم ، رآى الحسنان ـ الإمـام الحسن والحسين ـ رجلاً كبيـراً في السن يتوضأ بطريقة خاطئة ، وكانا صغيرين في السن .

فجاءا إليه قائلين :

ـ يا عم هل لك أن ترينا أيّاً منا وضوؤه الأصح ؟

وبدأ يتوضآن ، حتى أتما الوضؤ . وبمجرد أن إنتهيا قال لهما العجوز :

ـ بارك الله فيكما . . وضوؤكما هو الصحيح ، ووضوئي هو الخطأ » .

وبهذه الطريقة المهذبة نبها الرجل العجوز الى خطئه في وضوئـه ، دون أن يقولا له أن وضوءك خاطىء .

ولربما لو إتبعا الطريقة المباشرة لأصر حينها الـرجل على صحـة وضوئـه وخطئهما .

كان أحد مـدراء مصانـع الصلب التي يشرف عليهـا ، فوقـع بصره على بعض العمـال وهم يـدخنـون ، وفـوق رؤوسهم مبـاشـرة لافتــة تحمـل هــذه العبارة . . « التدخين ممنوع » ! . . فهل أشار الى اللافتة وعنف عماله قائلاً ! « أولاً تحسنـون القراءة ؟ » كـلا ! ليس ثـواب من يفعـل هـذا ! بـل سـار الى الرجال وناول كلا منهم سيجـاراً فاخـراً وقال : « سـأقدر لكم صنيعكم ، أيهـا الرفاق ، لو دخنتم هذا السيجار في الردهة الخارجية ! » وقد عرفوا لساعتهم ما يرمي إليه ، فأكبروا فيه إمتناعـه عن لومهم ـ واللوم من حقـه ! ـ فهل تملك إلا أن تحب مثل هذا الرجل ؟ !

وكـان أحد أصحـاب المتاجـر يستخدم هـذا الأسلوب نفسه في معـاملة

عماله . فقد إعتاد أن يقوم بجولة في متجره كل يوم وفي ذات يوم رأى أحد الزبائن ينتظر صابراً دون أن يعيره أحد العمال إلتفاتاً فأين كان الباعة ؟ كانوا في طرف ناء من المتجر يسمرون ويتندرون !

ولم يفه بكلمة ، بل تسلل في هدوء الى ما وراء الحاجز ـ حيث يقف الباعة ـ ولبى طلب الزبون بنفسه ، ثم سلم « البضاعة » لأحد عماله كي يلفها ، وانصرف لحاله .

وكان أحد الخطباء قد كتب خطبة لإلقائها بمناسبة معينة وكان يتحرق شوقاً لأن تأتي خطبته أروع ما تكون . ومن ثم كتبها مرة ومرة وأودعها كل ما في وسعه من زينة وزخرفة . ثم قرأها على زوجته ولكنها ـ أي الخطبة ـ كانت ككل الخطب المكتوبة ، ضعيفة ، ظاهرة العيوب ، ولو أن زوجته كانت سقيمة الذوق لقالت له لفورها : « ماهذا أنها فظيعة ، إنك ستدفع الناس الى النوم ! كان ينبغي أن تكون خيراً من هذا ، بعد الوقت الطويل الذي قضيته في ممارسة الخطابة فبحق السماء لماذا لا تتكلم كإنسان ؟ لماذا لا تكون على السجية ؟ إنك تسيء الى نفسك أبلغ إساءة إذا تلوت هذه الخطبة ! » .

هذا ما كانت تقوله ، ولو أنها قالته فأنت تعرف ماذا كان يحدث وكانت هي تعرف كذلك ! لهذا لم تقل سوى أنها تلاحظ أنها تصلح كمقال للمجلة . . أي أنها إمتدحت الخطبة وألمحت ـ في الوقت نفسه من طرف خفي ، أي أنها لا تصلح كخطبة ، وأدرك الخطيب وجهة نظرها فمزق الخطبة التي ضمنها عصارة ذهنه ، وارتجل خطبته فجاءت آية في البلاغة والروعة !

وهكذا فنحن نقبل الإعتراف بأخطائنا ، إذا إشير إليها من طرف خفي ، بينما لو وجدنا من يريد أن يخطئنا مباشرة ، ويأخذ منا الإعتراف بذلك ، سنمتنع ونحاول الوقوف في وجهه ونبحث عن تبريرات لمعتقداتنا وآرائنا . فكيف إذن نجوز لأنفسنا أن نخطّأ الناس ، ونخدش مشاعرهم ؟

وقد تتساءل : ترى كيف نقوم بإصلاح الأولاد ، من دون أن نخطئهم في مواقفهم ؟

والجواب : أن الإصلاح لا يمكن إلا في أجواء الإحترام المتبادل وهذا ما علمنا القرآن الكريم ، حيث قال في حوار له مع الكفار :

﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾(١)

وبهذه الطريقة لم يجعل الآخرين في موقع الدفاع ، حيث لم يصرح بكفرهم وضلالهم وإنما قال « وأنا ، أو إياكم » .

فلو أنك لإصلاح شخص ما ذكرت حسنة من حسناته ، ثم وضحت له أخطاءه ، لما رفض كلامك .

فإذا أردت أن تؤثر في أطفالك وتصلح أخطاءهم إتبع القاعدة التالية :

« ألفت الأنظار الى الأخطاء من طرف خفي » .

(١) سورة سبأ آية ٢٤ .

الفصل الثامن

إقبل ميسورهم . . ولا تكن صعباً .

ما هو المطلوب من إبنك ؟ وهل يحق لك أن تـأمره كمـا يأمـر القائـد العسكري جنوده ؟

لمعرفة الإجابة على هذين السؤالين ، لنقرأ الحديث التالي المـأثور عن أبى عبد الله (ع) ، حيث قال :

« قال رسول الله (ص) رحم الله من أعان ولده على بره .

قال : قلت كيف يعينه على بره ؟

قال : يقبل ميسوره . .

ويتجاوز عن معسوره . .

ولا يرهقه . .

ولا يخرق به ! »[1]

إذن . . الأبناء ليسوا جنوداً أو رجال خدمة يحق لـك أن تجعلهم ينفذون أوامرك الصعبة والقاسية .

إذ لا بـد من التساهـل معهم وإذا ما قـاموا بتنفيـذ الأعمال والـواجبـات بصورة ميسورة ، فلا بد حينئذ من قبول ميسورهم هذا .

ولعـل السر في ذلـك هو إيجـاد الـرضـا وإمتصـاص النقمـة من نفـوس

---

(١) الكافي (ج٦) ص٥٠ .

أبنائك ، وبالتالي فإن قراراتك الأخرى تدخل في قلوبهم برحابة .

ذلك لأن الأب الذي يكون صعباً مع أبنائه ويرهقهم ، ولا يقبل ميسورهم ، فإن بعض قراراته - بلا شك - ستتحطم وسوف يكسر رأيه ، فالعنف لا يولد إلا العنف والدقة تولد صوتاً بحجمها .

يقول الإمام علي (ع) :

« لا تكن يابساً فتكسر . . ولا تكن ليناً فتعصر » .

تماماً . . هكذا يجب أن تكون ، فلا تحمل إبنك فوق طاقته فترهقه وتخرق به ، ولا تترك الحبل على الغارب ، وتدع إبنك يفعل ما يشاء دون أن تأمره بواجب أو تطلب منه عمل شيء وإنما أمر بين أمرين .

الفصل التاسع

إجعل « فنّك » مستشارك التربوي !

إذا أردت أن تملك زمام أبنائك وتحركهم نحو ما ترغب ، لا بد لك أن تستشير فنك في التعامل معهم .

كيف :

قالت لي أم وهي تشرح تجربتها الناجحة في السيطرة على أبنائها من دون كبير عناء :

« خلال تجربتي مع أبنائي الأربعة إستخدمت بعض الطرق الفنية ومنها طريقة المقابلة ، أي أنني حينما كنت أريد ـ مثلاً ـ أن أجعل من إبني يحافظ على نظافة ملابسه كنت أقول له : بني لو أنت حافظت على نظافة ملبسك الى يوم كذا . . فإني سأدفع لك قيمة الصابون والماء والكهرباء والجهد بدل أن أصرفه على نظافتها .

أو كنت أحياناً أقول لهم : أن أي واحد منكم لا يعتدي على أبناء الجيران ويحافظ على الهدوء ، فإن له جائزة تقديرية في نهاية كل شهر .

وبالفعل . . لقد كنت أضع مقابل كل أمر شيئاً حتى أنطلق أبنائي بإندفاع وتحرك مستمر في تنفيذ أوامري ومتطلباتي ، ولربما لم يكن ذلك في أغلب الأحيان بهدف الحصول على جائزة أو أي شيء سوى مدحي وثنائي الذي كنت أسبغه عليهم أمام والدهم والآخرين أيضاً » .

وأتساءل أليست هذه طريقة ناجحة ؟

فلماذا لا نصنع شيئاً مقابل شيء ؟

لماذا لا يقول الأب لأبنه مثلاً : عليك بعمل كذا . . وعلي بفعل كذا ؟

إن لم تكن قد جربت هذه الطريقة ، فحاول أن تستخدمها ، وقل لولدك: إني سأقوم بصحبتك معي في المرة الثانية إن أنت أحسنت وإستمعت الى نصائحي في هذه المرة .

وحقاً ـ آنئذ ـ ستجد ولداً مطيعاً لك ، وسلساً في قيادته .

* * *

تلك كانت إحدى الطرق الناجحة في هذا الصدد ، فما هي الطريقة اخرى ؟

الطريقة الثانية هي كما يقول أحد الباحثين التربويين :

« إذا كنت ترغب في أن يطيعك إبنك في أوامرك و نواهيك ، لا بد لك أن تصنع البديل الملائم ، أي إذا كنت تريد أن تنهيه ـ مثلاً ـ عن اللعب بالتراب ، حينئذ يكون لزاماً عليك أن تضع بين يديه لعبة أخرى بديلة ، وإلا فإنه سوف يعود الى لعبه في التراب حتى وإن كنت قد حذرته مراراً من مغبة العودة الى ذلك » .

فالأب مثل الطبيب . . لا يكفي أن يشخص المرض دون أن يكتب الدواء في المقابل .

وهكذا الأمر . . إذا أردت أن تحل مشكلة إجتماعية أو سياسية أو إقتصادية .

هل يكفي . . أن تشخص المشكلة فقط ؟

كلا . . لا بد لك أن تضع الحل البديل والمناسب الذي يملأ الفراغ ويرفع سبب الأشكال .

دائماً تعود على التالي :

قبل أن تأخذ الكأس من بين يدي طفلك وتدعه يصرخ . . إبحث عن لعبة . . عن وردة . . عن أي شيء آخر ، وقدمه إليه ، ثم أسرق الكأس من بين يديه دون أن يلتفت أو يشعر بذلك .

وبهذا تكون قد أحرزت عدة أمور :

١ ـ حافظت على الأجواء . . وتخلصت من البكاء والعويل ، الذي يصحب أخذ الكأس بقوة عادة .

٢ ـ حافظت على سلامة الكأس من الكسر ، لأن الطفل يحاول التمسك أكثر بما يؤخذ منه بقوة . . وهذه عادة الإنسان أنه حريص على ما منع .

٣ ـ تخلصت من حالة سلبية ، وهي حالة العناد وقلعها من جذورها قبل أن تنمو وتكبر في طفلك .

إذا كنت ترغب في ذلك . . فاتبع القاعدة التي تقول :

« إجعل شيئاً مقابل شيء » .

* * *

إجمال ثمانية طرق لكي تمتلك زمام أبنائك دون أن تسيء إليهم أو تستثير عنادهم .

١ ـ اقضِ على أسباب العصيان .

٢ ـ حول أوامرك الى رجاء .

٣ ـ دع إبنك يحتفظ بماء وجهه .

٤ ـ إمتنع عن إستخدام العصى .

٥ ـ إترك اللوم والعتاب .

٦ ـ ألفت الأنظار الى الأخطاء من طرف خفي .

٧ ـ إقبل ميسوره . . ولا تكن صعباً .

٨ ـ إجعل شيئاً . . مقابل شيء .

الجزء الرابع

السر الأكبر في تربية الأبناء

الفصل الأول : الأم . . ذلك الدور المنسي !

الفصل الثاني : قاعدة النجاح في التربية .

الفصل الأول

الأُم . . ذلك الدور المنسي !

هل يمكن أن تنسى ذلك القلب الذي يحتضن طفلك ؟

هل يمكن أن تتجاهل ذلك المهد التربوي الكبير ؟

هل يمكنك أن تلغي « أُم » أطفالك ، ذلك الأثر الفعال في التربية ؟

كلا . . لا أحد يقول بإلغاء « الأم » من عملية التربية . . ولكن الغريب والمدهش ، أن هنالك الكثير من الرجال يلغون الأم عملياً وعلى أرض الواقع .

وإلا دعنا نتساءل :

هل هنالك صورة واضحة لدور الأم في التربية عند الآباء ؟

وإذا كانت الصورة . . هل هنالك تحّمل لهذا الدور ؟

هل الرجال يعتمدون على زوجاتهم ، ويعقدون الأمل على أدائهم لمسؤولية التربية ؟

وكم هي نسبة الإعتماد أن وِجد ؟

ماذا عن الأمهات في مجتمعنا الإسلامي هل هنّ حقاً ذلك المعهد التربوي ، والمدرسة الفاضلة لتنشئة الأطفال الصالحين ؟

ذلك لأن الطفل . . يخلق في رحم أمه . . وينشأ في حضنها ، ويفتح عينيه لِلحياة في وجهها ، ويترعرع في كنفها ، ويتعلم المشي على يديها ، ويتعلم النطق من كلماتها وأحاديثها ، ويعرف الأمور من خلالها ، ويقتدي

بتصرفاتها وأخلاقها ويتتلمذ في مدرستها .

وبالتالي . . فالطفل جزء لا يتجزأ من أمه ، لحمه لحمها ، ودمه دمها ، وروحه روحها ، وحبه حبها ، وبغضه بغضها ، وسيرته سيرتها ، وأفكاره أفكارها .

وكيفما تكون الأم . . يكون الطفل . . فإن كانت صالحة نتج عن ذلك إبن صالح ، وإن كانت سيئة لا تنبت غير ولد السوء .

ولقد صدق من قال : « قل لي كيف زوجتك أقل لك كيف أولادك » .

إذن نستطيع القول أن الأم تشكل العامل المؤثر والفعال في عملية التربية وهي ذلك السر الأكبر ، فكيف يجب أن تكون ؟ وماذا يجب عليك تجاهها ؟ وما هي المسؤولية التي من المفترض أن تقوم بها تجاه الأبناء ؟

قبل الإجابة على ذلك لنا ملاحظة :

إذا كان لا بد للأطفال أن يدخلوا في مدرسة الأم سنين طويلة فإن ذلك يعني أنه لا بد من الإعتناء والإهتمام بهذه المدرسة ، ولا بد من التوجه المركّز إليها ، وصيانتها ، وتشذيبها من المساويء وجعلها نموذجية في المنهج والبرنامج وحسن التدريس .

وبالتالي لا يجوز تركها ، بل أن إهمالها يعتبر خيانة عظمى بحق الأجيال .

أو ليس جيلنا الحاضر . . هم أطفال الأمس ، الذين هم نتائج صياغة الأمهات السالفات ؟

لا أحد ينكر أن تأثيرنا في المجتمع هو نابع من تأثير أمهاتنا علينا ، فإن كنا اليوم ـ مثلاً ـ نصدق مع الناس، ونؤدي الأمانات الى أصحابها ، ونعمل الخير ، ذلك لأن أمهاتنا لم تكن تكذب معنا قط ولم تخنا ، ولم نكن نرى إلا عمل الخير والصلاح منهن .

ومن هنا . . فلا بد من تركيز الإهتمام ، وصب الجهد لتربية النساء ، وخلقهن خلقاً جديداً ، حتى يؤتين أكلهن بإذن الله عز وجل .

يقول الشاعر :

« الأم مدرسة إن أعددتها . . . أعددت جيلاً طيب الأعراق » .

وتلك مسؤولية المجتمع ومسؤولية الزوج معاً .

ونحن هنا نتطرق الى مسؤولية الزوج وواجباته تجاه زوجته هذه الأم ، التي نعقد الأمل عليها في صناعة الإنسان الصالح ومن ثم الأمة المؤمنة .

* * *

فما هي مسؤولية « الأب المربي » تجاه زوجته « الأم المربية » ؟

نجعل ـ هنا ـ بعض النقاط الهامة ، التي ينبغي لك كأب أن تلتفت إليها بالنسبة الى أُم أطفالك ، وهي كما يلي :

أولاً : لا تسحق قراراتها .

تمتلك الأم هالة من القدسية والهيبة والإحترام في قلب أبنائها ، وبهذا يكون كلامها مهيوباً وأوامرها نافذة ، ومؤثرة في نفوس الأبناء .

ولكن الذي يفسد كل ذلك هم بعض الآباء الذين لا نعتهم إلا بالخير ، هولاء يسحقون قدسية الأم في أبنائهم بمرور الزمن .

وذلك حينما يتعارض رأي الزوج وزوجته في أمر ما . . فيضطر الزوج الى أن يقول لأبنه مثلاً : « إترك كلام أمك . . ما عليك . . إسمع ما أقول لك أنا . . وهكذا .

قد يضطر للتفوه بهذا القول حينما يكون عازماً على الخروج وطفله يريد الذهاب معه ، وقد جاء حافياً ، ولأن الاب على عجل من أمره ، فإنه يأمر الطفل بالخروج حافياً . . فيمتنع الطفل عن الخروج إمتثالاً لوصايا أمه . . لكن الأب هنا يقول له : ما عليك شيء . . تعال معي ! !

فيقول الطفل : أن أمي ستعاقبني !

يقول الأب : سوف أصدها عن ذلك ولا أسمح لها بالتجرأ عليك !

وبهـذا يكون الأب قـد سحق قرارات زوجتـه ، وأفقد قيمتهـا في نفوس أبنائه ، وذلك يعني بالتالي خروج الأبناء من زمام الأم .

* * *

ثانياً : إحترمها .

إن إحترامك زوجتك أمام أبنائك يزيدها وزناً وأهمية بالغة تكون لها خير رأسمال ، وتعطيها قوة في الشخصية . ومتانة في التأثير .

ولعل عدم إحترام الزوج لزوجته وكذلك الزوجة لـزوجها يعـد أحد أبـرز الأسباب الباعثة على إنحلال دور الأبوين فى تربية الأبناء تربية صالحة ونقية .

وعـدم الإحترام ـ أيضـاً ـ يسقط القدسيـة والهيبة لكـل طـرف أُسيء في إحترامه .

واحترام الزوجة أمام الأبناء يعني عدة أمور :

١ ـ أن تتمنع عن الدخول في شجار معها .

٢ ـ أن لا تستهزىء بما تقول وتصنع .

٣ ـ أن لا تكيل إليها السب والشتائم .

٤ ـ أن لا تنتقدها إلّا سراً .

٥ ـ أن لا تسحق قراراتها .

٦ ـ أن تصدقها وتحسن الظن بها .

* * *

ثالثاً : دعها تقرأ في هذا المجال .

إذا لم نجد الأم تقوم بدورها التربوي السليم فإن السبب الأكبر في ذلك يرجع الى جهل الأمهات وضحالة ثقافتهن التربوية .

وحتى اللواتي يقرأن كتب تربية الأطفال . . فإني لا أعتقد أن قراءتهن تتجاوز خمسة كتب أو أقل من ذلك .

إننا نريد إعداد المرأة للتربية حتى تكون بمستوى الخبير والمستشار التربوي .

وهل هنالك من يعترض ؟ لماذا إذن لا تصل الأمهات الى درجة الإجتهاد في هذا المجال ؟

ترى هل تشكو نساؤنا إنعداماً للوقت ، أم إنهن يشتكين فراغاً قاتلاً في أغلب الأحيان وللأسف ! !

إن هذا الفراغ الواسع الذي يسيطر على نسائنا أن لم يُستغل جيداً ، فإنه ينقضي بسفاسف الكلام ، وبأتفه الأعمال ، شئناً أم أبينا . . أليس كذلك ؟

من هنا كان على الزوج الكريم أن يحاول إقتناء أي كتاب صالح يستعيره أو يشتريه ببعض الدراهم ، ثم يأمر زوجته بمطالعته وفق رؤية واضحة ومنهاج سليم ، وهدف مرسوم حتى تهتدي الطريق وتنطلق ـ لوحدها ـ تقرأ الكتب ، وتطالع الأبحاث ، وتستقرأ التجارب والنظريات في هذا المجال .

ولا ضير من أن تضيف إلى رفوف مكتبتك رفاً آخر يضم الكتب التي تخص تربية الأطفال .

كما لا تنس أنك مطالب بقرائتها أيضاً قبل زوجتك .

* * *

رابعاً : أتعب على تربيتها .

لا يشك أحد أن المسؤول عن تربية الفتاة هو الأب والأم ، ولكن ماذا لو إنتقلت هذه الفتاة الى بيت الزوجية . . حينئذ من سيكون المسؤول الأول عن تربيتها وتنشئتها كزوجة أو لا ، وكأم ومربية للأبناء ثانياً ؟

نحن لسنا مع أولئك القائلين أن المسؤولية تنتقل عن الأب بإنتقال الفتاة الى الزوج ، فالأب يبقى مسؤولاً عن أبنته ، ولكن لا ننسى أن المسؤول الآخر هو الزوج ، وتأتي مسؤوليته بالدرجة الأولى هنا .

ونحن نلاحظ أن الفتاة حينما تتزوج وتنتقل الى كنف زوجها لتقضي حياتها في ظل شريك العمر . . نلاحظ ، أن الزوجة تبدأ لتكون جزءاً من شخصية زوجها ، أو تكون صورة طبق الأصل له .

وقد قيل : أن النساء على دين أزواجهن :

فالزوجة المحبة لزوجها تحاول أن تقتدي بزوجها ، وهي أول الناس الى الإيمان بأفكاره ومعتقداته ، وأقرب المتأثرين به إيجاباً أو سلباً .

ولذلك يعد من السهل على الزوج تغيير زوجته أو تبديل قناعتها ، وصياغتها وفق شخصية جديدة ينشؤها هو .

ومن هنا فإذا أردت أبناءاً صالحين ـ قبل ذلك ـ يكون لزاماً عليك أن تعد أُمّاً صالحة ، ولن تحصل على كل ذلك ما لم تقم بتربية زوجتك .

بل وتبذل قصارى جهدك في هذا السبيل أو لا تتزوج إلا من إمرأة تكون ـ أنت ـ على ثقة وإطمئنان لجدارتها على التربية السليمة .

وعلى أي حال فالزوج مسؤول عن تربية زوجته وتهذيبها من كل الصفاة السيئة مثل الكذب ، والحسد ، والغيبة ، والسب والشتم ، والفسق والفجور ، والأنانية ، وحب الدنيا ، وإرتكاب المعاصي وما الى ذلك .

وإن لم يفعل فلينتظر أبناءاً يحملون هذه الصفاة . . ولا ينفع ـ حينئذ ـ نصحه وإرشاده لهم .

فمهما بلغ الأب من العلم والمعرفة ، ومهما بذل الجهد البالغ في التربية والتأديب لا يستطيع تربية أبنائه على الوجه الصحيح طالما لم يعير زوجته إهتماماً وتركها على عواهنها دون تربية وتعليم .

ذلك بحكم تواجد الأبناء الكثير قرب أمهاتهم ، وسرعة تأثرهم بها وبسلوكها .

هذا بالإضافة الى أنك لو قمت بتربية زوجتك تربية صالحة فإنك ـ آنئذٍ ـ تكون قد حزت على من يشاطرك مسؤولية التربية ، ويتحمل قسماً كبيراً منها .

ويصبح من الواجب الأكيد إعداد الأم لدور التربية إذا ما كان الأب لا يستطيع التفرغ بتاتاً لتربية أبنائه .

* * *

خامساً : علمها طرق التربية .

قبل أن تمارس زوجتك التربية ، وأثناء قيامها بالتربية ، لا بد أن تكون ـ أنت ـ المعلم والموجه والمرشد لها .

أي يكون من الجدير بك أن تعلّم زوجتك طرق التربية الصحيحة ولا تبخل عليها بما تعلم ، وحين قيامها بمباشرة التربية ، يحسن بك أن تكون الموجّه لها ، فترشدها الى الصواب والخطأ ، عن إرتكاب الأخطاء في أسلوب التربية .

وبالطبع فإن كل ذلك يجب أن يكون ضمن أجواء يلفها الإحترام ، ويسودها التفاهم والإتفاق .

* * *

سادساً : أعطها وزناً ثقيلاً .

إن الأب الذي يأتي الى الدار ، ويسأل زوجته عن واحد واحد من أبنائه

ممن آذاها ، ولم يطعها ثم يعاقب كل من ارتكب جرماً بحقها بأسلوبه المفضل ، أو يجمع أبناءه ويبدأ يحثهم على طاعة أمهم ، ويبيّن لهم حقوقها عليهم وعظمتها عند الله . . إن هذا الأب هو الزوج الرشيد الذي يعطي الوزن الثقيل لزوجته أمام أبنائه .

وفيما يلي بعض الأحاديث التي تبين حقوق الأم ، والتي يجب أن يذكرها الأب لأبنائه :

يقول الإمام زين العابدين(ع) :

« أما حق أمك فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً ، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً ، ووقتك بجميع جوارحها ، ولم تبال أن تجوع وتطعمك ، وتعطش وتسقيك ، وتعرى وتكسوك ، وتضحي وتظلك ، وتهجر النوم لأجلك ، ووقتك الحر والبرد ، لتكون لها ، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه »[1] .

وذات يوم جاء رجل الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال : أمّك ، قال : ثم من ؟ قال : أمّك ، قال : ثم من ؟ قال : أمّك ، قال : ثم من ؟ قال : أباك »[2] .

ويقول الإمام الباقر(ع) :

« قال موسى بن عمران : يا رب ! أوصني ؟ قال : أوصيك بي ، فقال : ربّ أوصني ؟ قال : أوصيك بي ـ ثلاثاً ـ قال : يا ربّ أوصني ؟ قال :

---

(١) بحار الأنوار ج٧٤/ص٦ .
(٢) المصدر السابق ج٧٤/ص٤٩ .

أوصيك بأُمّك ، قال : يا رب أوصني ، قال : أوصيك بأمك ، قال : يا ربّ أوصني ؟ قال : أوصيك بأبيك . . . »[1] .

(1) المصدر السابق ج٧٤/ص٦٧ .

الفصل الثاني

قاعدة النجاح في التربية

ذات يوم سأل أحد المواطنين الهنود أحد المستعمرين البريطانيين ، وقال له :

ـ كيف إستطعتم إستعمارنا لأربعة قرون ، ونحن أكثر منكم نفوساً وبأضعاف كثيرة ؟

أجاب المستعمر البريطاني قائلاً :

ـ السبب الرئيسي في ذلك أننا دائماً نفكر بالجذور ، ونحاول أن نصنع الحلول الجذرية ، ونستبق الأحداث .

وأضاف قائلاً :

ـ والمثال على ذلك مسألة السيول والفياضانات التي تحدث في الهند وبريطانيا ، أنكم في الهند إنما تتصرفون مع الفيضانات بعد حدوثها ، فتحاولن حفر الأنهار والسواقي لجرف المياه الى البحار أو المستنقعات ، بعد أن تكون قد أحدثت إبادة جماعية لشعبكم وقراكم .

ولكننا ـ في علاجنا لهذه المشكلة ـ قد ذهبنا الى الجبال وردمنا الهوة التي ينحدر منها السيل ، وصنعنا لذلك البحيرات والسدود .

أن التفكير بالحلول الجذرية إنما هو أساس النجاح في كل الأمور وفي كل الأشياء .

والحل الجذري للنجاح في تربية أطفالك ، إنما يكمن في قاعدة ذهبية ألا وهي : « الأدب الحسن » .

يقول الإمام علي عليه السلام :

« أنكم الى إكتساب « الأدب « أحوج منكم الى إكتساب الفضة والذهب » .

« إن خير ما ورث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال » .

ويقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) :

« لئن يؤدب أحدكم ولداً خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم » .

ويقول (ص) أيضاً :

« أكرموا أولادكم واحسنوا آدابكم » .

فما هو الأدب ؟

لكي تعرف الأدب ، وتثمن قيمته ـ أيضاً ـ إنظر الى بعض الأطفال من الذين لا يعجبك سلوكهم وتصرفهم السيء .

فماذا تجد ؟

إنك ستجد نقطة واحدة يتفق الجميع فيها معك ، وهي : « إنعدام الأدب » .

فلو رأيت من أحد سوء خلق ، أو سوء تصرف ، أو سوء نطق ، فإنما ذلك هو نتيجة طبيعية لإنعدام الأدب .

يقول الإمام علي (ع) في ذلك :

« لا أدب لسيء النطق » .

ثم يبين نتائج الأدب ويقول(ع) :

« ثمرة الأدب حسن الخلق » .

وهذه سُنة ثابتة ـ مثل السنن الإلهية الأخرى ـ لا تقبل التغيير .

فالغرفة تبقى مظلمة ما لم تكلف نفسك قليلاً وتضغط على زر المصباح .

والظلم ينالك ما لم تبذل جهداً في مكافحته .

والجهل يقتلك إذا لم تدخل المدرسة وتتعلم .

وكذلك يبقى ولدك يتخبط العشواء ، ويرتكب الذنوب والخطايا بحقه ، وبحق الناس ـ أيضاً ـ إذا لم تبتدأه بالأدب وحسن التعليم في أموره كلها ، دون إستثناء . و « لكل أمر أدب » كما يقول الإمام علي عليه السلام .

فالطفل يحتاج الى أن تعلمه كيف يمسك ملعقة الطعام ـ مثلاً والمقدار الذي يتناوله من الطعام في كل لقمة ، وكيفية إجادة المضغ ، وعدد وجبات اليوم ، ومسألة الإمتناع عن الأكل عن الشبع ، والإبتداء ببسم الله ، وعدم التحدث حين الأكل ، وكل آداب الطعام الأخرى .

وكما في آداب الطعام كذلك يجب أن تعلمه آداب المشي ، وآداب الكلام ، وآداب التعامل ، وآداب السفر والحضر، وكل آداب الحياة .

والدين الإسلامي يمتاز بأنه رائد الآداب الإنسانية والحياتية ، وقد وضع

لكـــل شيء أدب ، وطـريقــة ، وسلوك . وهي مـوجــودة في كتب المصــادر الإسلامية . وبوفرة هائلة جداً[1] .

(١) راجع كتاب مكارم الأخلاق.

الجزء الخامس

كيف يسود الحب والود بين ابنائك ؟

الفصل الأول . ست قواعد لبناء الحب بين الأخوان .

الفصل الأول

ست قواعد لبناء « الحب » بين الأخوان

ما هي نقاط العداء بين الأبناء ؟

وكيف نستطيع أن نقتلعها من صدورهم ، ونـزرع مكانهـا أشجار الحب والوئام ؟

أي كيف تجعـل إبنك يـطبع قبلة على وجنتي أخيـه بدل أن يـوجه إليـه الضربات ؟

الجواب : تستطيع أن تقتلع جذور التبـاغض والعداء من بين أبنـائك إذا ما عملت بهذه الوصايا التالية :

أولاً : أعرف متى تطبع القبلة وتوزع الحب .

جاء في الحديث :

« عن النبي (ص) نـظر الى رجل لـه إبنان فقبـل أحدهمـا وترك الآخـر فقال النبي : فهلاّ واسيت بينهما ؟ »

وقال الإمام الصادق (ع) : قال والدي :

« والله لأُصـالح بعض ولـدي وأجلسه على فخـدي وأكثـر لـه المحبـة ، وأكثر له الشكر وأن الحق لغيره من ولدي . .

ولكن محافظة عليه منه ، ومن غيره لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف أخوته . .

وما أنزل سورة يوسف إلا أمثالاً لكيلا يحسد بعضنا بعضاً ، كما حسد يوسف أخوته وبغوا عليه »[1] .

إذن . . لا تنسى في المرة القادمة التي تريد أن تقبل فيها أحد أبنائك ، أو تضمه الى صدرك ، وتعطف عليه بالحب والحنان لا تنس عليك أن تفعل ذلك في وقت لا يلحظك فيه أبناؤك الآخرون .

وإلا . . فإن عليك أن تواسي بين أبنائك في توزيع القبلات ، ويعني ذلك إذا قبلت أحد أبنائك في محضر إخوانه الصغار حينئذ لا بد أن تلتفت إليهم وتقبلهم أيضاً .

وإن لم تفعل ذلك ـ وبالخصوص إذا كنت تكثر من تقبيل أحد أبنائك دون إخوانه ـ فكن على علم أنك بعملك هذا تكون قد زرعت بذور الحسد وسقيت شجرة العدوان بينهم .

وقد أكد الإسلام على هذه المسألة الحساسة ، وأعار لها إنتباهاً ملحوظاً ، حتى أنه أمر الأب أن يبدأ بالأناث ـ في العطاء ـ قبل الذكور ، حيث يقول النبي (ص) :

« من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها الى عياله كان كحامل صدقة الى قوم محاويج . .

ثم يضيف الرسول قائلاً :

---

(١) المستدرك (ج٢) ص٦٢٦ .

« ويبدأ بالإناث قبل الذكور ، . . . » .

لماذا ؟

ذلك حتى لا تشعر الفتاة بالإنكسار والضعف ، في مجتمع يحب الذكور ، ويكره الإناث ، وبالطبع فإن هذا العمل يدفع الفتاة الى الشعور بمكانتها العزيزة بين إخوانها ، ومن ثم نجاتها من مهالك الحسد والعدوان .

والمطلوب ـ في الحقيقة ـ إقامة العدل بين الأبناء سواء في توزيع القبلات أو في الرعاية والإهتمام بشكل عام .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« اعدلوا بين أولادكم ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف »[1] .

وتحضرنا هنا بعض الأسئلة حول وضع الأخوة في الأسرة :

ـ هل الأطفال الأصغر دائماً يحْمَوْن حماية زائدة ؟

ـ وهل الأطفال الأكبر يجدون قبولاً أكبر أو أقل عندما يأتي أطفال آخرون ؟

ـ وهل يكون المولود الأول مفضلاً دائماً ؟

ـ وما مركز الإبن الأخير والإبن الوحيد ؟

ـ كيف يكون موقع الإبن الجميل والإبن القبيح ؟

---

(١) بحار الأنوار (ج١٠٤) ص٩٣.

ـ هل هنالك تفاضل بين الأبناء وعلى أي أساس يقوم ؟

ـ هل على أساس الجمال أم على أساس التقوى والعمل الصالح ؟

ـ وإذا كان هنالك تفاضل . . كيف يجب أن يتم إشعار الأبناء به ؟

يجيب على بعض هـذه الأسئلة بعض الباحثين التربويين فيقول : « عندما يولد الطفل الثاني ، ويأخذ بالنمو والكبر ويدرك ما حوله ، لا يجد الوالدين من حوله فحسب ، بل يجد كذلك في الميدان أخاه الأكبر الذي سبقه في الميلاد ، والذي يفوقه قوة ويكبر عنه جسماً ووزناً .

وكلما كبر أدرك أنه أصبح في مرتبة ثانوية في المعاملة تتضح له من الأمور الآتية : نعطي له اللعب القديمة بعد أن يكون أخاه قد إستلمها جديدة واستعملها أمامه ، ونعطي له كذلك ملابس أخيه القديمة بعد أن تصبح غير صالحة للإستعمال إلا قليلاً .

والذي يزيد الطين بلة ، ميلاد طفل ثالث في الأسرة يصبح موضع رعاية جديدة من الوالدين . فيقل لذلك مقدار الرعاية التي كانت توجه إليه .

وهنا يأخذ الطفل الثاني ترتيباً جديداً بين الأخوة ، ويصبح طفلاً أوسطاً . أن مركز الطفل الأوسط لا يحسد عليه إذ أنه يكون مهاجماً من الامام (عن طريق الأخ الأكبر) ومن الخلف (عن طريق الأخ الأصغر) .

أما عن الطفل الأخير في الأسرة ، فإن مركزه تحدده العوامل التالية نجد أولاً : أن هنالك إختلافاً في معاملة الوالدين له عن بقية الأخوة والأخوات ، وميلاً لإطالة مدة الطفولة ، لأن الوالدين ـ حينئذ ـ يكونان غالباً قد تقدم بهما السن وأصبح أملهما في إنجاب أطفال جدد محدود .

وفي بعض الحالات نجد أن الطفل الصغير الأخير يكون موضع رعاية

خاصة وتدليل الوالدين أو من أحدهما .

وهنا تدب نار الغيرة والحقد في نفوس إخوته وتذكرنا أمثال هذه الحالات بقصة يوسف ، وما تعرض له من إيذاء نتيجة كره إخوته له ، لإيثار والديه له بالعطف الزائد » .

* * *

وبالنسبة الى مسألة التفاضل ، نجد أن بعض الآباء يزدادون حباً وعطفاً على أحد أبنائهم دون إخوته الآخرين ، ليس لأنه الأجمل أو الأكبر أو الأخير ، وإنما لأنه الأفضل نشاطاً وعملاً وخدمة لوالديه .

هنا لابأس بهذا التفاضل إذا ما كان سراً ، ولكن حذار من الطريقة السلبية التي يتم إشعار الأخوان بها ؟

والطريقة السلبية ـ التي يجب إجتنابها ـ هي : أن يقول الأب لأبنائه ـ على سبيل المثال ـ : لا بارك الله فيكم أنكم جميعاً لا تسوون قيمة حذاء ولد فلان ! !

أو يقوم بإحترام إبنه والإهتمام به دون إخوانه وإخواته .

بينما الطريقة الإيجابية تقضي أن يقوم الأب بمدح الصفات التي يتحلى بها إبنه الصالح دون ذكر إسمه ، أو حتى إذا ما إضطر الى ذكر إسمه فلا بد أن يقول لهم مثلاً : إني على ثقة من أنكم ستحذون حذو أخيكم فلان في مواصفاته الحميدة ، ولا شك ـ يا أبنائي ـ إن لكم قسطاً من الفضل في مساعدتكم أخاكم حتى وصل الى هذه الدرجة من الرقي والتقدم والكمال .

بالطبع ـ عزيزي القارىء ـ إنك وجدت الفارق بين الطريقتين ، ففي الطريقة الأخيرة تجد أن الأب يحاول إعطاء التفاضل لأحد أبنائه بصورة فنية

دون أن يحرك مشاعر الحقد والحسد في صدور أبنائه الآخرين ، تجاه إبنه المتميز لديه .

بل . . بالإضافة الى ذلك فهو قد دفع أبناءه الى تقليد أخيهم الصالح عبر إعطائهم الثقة في الوصول الى مرتبته ، وبصورة هادئة وحكيمة .

والتفاضل هنا لا يعني إعطاء أحد الأبناء حقوقاً أكثر وفي المقابل سلبها من الأبناء الأخرين ، كأن يعطي الأبن المتميز طعاماً أكثر أثناء وجبة الغذاء أو أن تقُدم إليه الملابس الأجود واللوازم الأفضل ، لا . . إن هذه الطريقة هي طريقة الحمقى والذين لا يعقلون .

إذن . . أن آخر ما نريد قوله في هذا الباب هو : المطلوب مزيد من الإنتباه الى هذه الملاحظة الهامة والتعرف ـ جيداً وبحكمة ـ على كيفية توزيع الحب بين الأبناء .

* * *

ثانياً : بيّن أهمية الأخ لأخيه .

إذا كنت ترغب في أن يسود الحب والود بين أبنائك فما عليك إلا أن تبيّن أهمية الأخ لأخيه ، وتشرح له عن الفوائد الجمة التي يفعلها الأخوان لبعضهم البعض .

وهنا يجدر بك أن تسرد لأبنائك الأحاديث التالية التي توضح تلك الأهمية التي يكتسبها الأخ من أخيه ، وإليك بعضها :

يقول الإمام علي (ع) :

« الأخوان أفضل العدد » .

ويقول :

« الأخوان زينة في الرخاء وعدة في البلاء »

ويقول :

« الأخوان جلاء الهموم والأحزان » .

ويقول :

« من لا أخ له لا خير فيه » .

ويقول :

« من لا أخوان له لا أهل له » .

ويقول :

« موت الأخ قص الجناح واليد » .

كما لا تنسى أن تسرد لهم قصة الإمام الحسين عليه السلام وأخاه العباس في معركة كربلاء ، حيث كان العباس خير معين وناصر لأخوه ، حتى أنه لما سقط على الأرض صريعاً جاء الإمام وقال : « أخي الآن إنكسر ظهري ، وقلت حيلتي وشمت بي عدوي » .

إذن فالأخ هو المساعد الأيمن لأخيه ، وقد تجلى ذلك أيضاً في قصة النبي موسى حينما قال : « واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري » .

بهذه الطريقة تكون قد أشعرت إبنك بأهمية أخيه ، وبالتالي قد شددت أواصر العلاقة والمحبة بينهم .

* * *

ثالثاً : إسق شجرة الحب بينهم . .

الأب الناجح في التربية هو الذي يجسّم المحبة بين أبنائه ويقوم بإروائها وسقيها كل وقت .

وتسأل : كيف يتم ذلك ؟ والجواب يأتيك على لسان أحد الآباء ، وهو يسرد تجربته مع أبنائه ، حيث يقول :

« لقد رزقني الله (عز وجل) الوليد الثاني بعد أن جاوز عمر الأول السنتين ، وحمدت الله (تعالى) كثيراً على ذلك .

وكما هو الحال عند كل الأطفال ـ أخذ ولدي الأول يشعر تجاه أخيه ، كما يشعر الإنسان تجاه منافسيه ، كان ينظر إليه بإستغراب ودهشة وعدم رضى ، وكأن علامات الإستفهام التي تدور في مخيلته تقول : لماذا إحتل هذا الغريب مكاني ؟ من هو هذا الجديد ؟ هل يريد أن يأخذ أمي مني ؟

وبدأ الحسد والغيرة تدب في نفسه حتى أنه تسلل اليه وصفعه وهو في مهده .

لقد كانت تلك هي آخر صفعة ، حيث أدركت على الفور أنه لا بد من وضع حل ناجح يمنع الأذى عن هذا الرضيع .

وفكرت في الأمر ملياً حتى إهتديت الى فكرة وسرعان ما حولتها الى ميدان التطبيق ، حيث جئت ببعض اللعب الجميلة والمأكولات الطيبة ، ووضعتها في المهد عند طفلي الرضيع ، ثم جئت بولدي الأكبر وأفهمته بالطريقة التي يفهمها الأطفال أن أخاه الصغير يحبه كثيراً وقد جاء له بهدايا حلوة وجميلة ثم أمرته بأن يأخذها منه ، فأخذها وهو فرح مسرور لا يخامره أدنى شك في ذلك .

ومنذ ذلك اليوم لم أترك العملية هذه حيث أوصيت زوجتي بأن تقدم ـ أكثر الأشياء التي تريد تقديمها لوليدنا الأول أن تقدمها بأسم الصغير وعبره ، مثلما فعلت أنا في بادىء الأمر .

وكل يوم كان يمضي كان ولدي الأكبر يزداد حباً لأخيه حتى وصل به الأمر الى البكاء عليه فيما لو أخذه أحد الأصدقاء وقال له مازحاً إنني سأسرق أخوك منك !

* * *

كان ذلك بالنسبة للأطفال الصغار بينما السؤال الآن : كيف نزرع الحب بين الأبناء الكبار ؟

تستطيع أت تحقق ذلك عبر الطرق التالية :

الطريقة الأولى : إدفع أبناءك ليقدم كل واحد منهم هدية لكل أخ من إخوانه .

سواء عبر إبلاغ كل واحد منهم بطريقة مباشرة أو عن طريق توجيههم الى القيام بهذا العمل بطريقة غير مباشرة ، أو من خلال الطريقتين معاً ، وإن كنا نفضل الطريقة الغير مباشرة .

يقول رسول الله (ص) :

« الهدية تورث المحبة » .

ويقول(ص) أيضاً :

« الهدية تفتح الباب المصمت »

الطريقة الثانية : إدفع أبناءك للتزاور والتواصل بينهم فإنه ليس هناك

شيء يمتن العلاقة والحب بين الأخوان مثل الزيارة .

والجدير بـك أن تعلمهم هذه الأحـاديث الشريفـة التاليـة حتى تدفعهم ـ ذاتياً للقيام بالتزاور فيما بينهم :

يقول رسول الله (ص) :

« من زار أخاه في بيته قال تعالى : أنت ضيفي وزائري وقد أوجبت لـك الجنة لحبك إياه »

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« ملاقاة الاخوان نشرة (تلقيح) العقل وان كان نزراً قليلاً »

ويقول رسول الله (ص) :

« مثل الأخوين إذا إلتقيا ، مثل اليدين تغسل أحداهما الأخرى » .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« إن من روح الله تعالى ثلاثة : التعبد في الليل وإفطار الصـائم ، ولقاء الأخوان » .

الطريقة الثالثة : إدفعهم الى المصافحة والمعانقة فيما بينهم .

يقون الإمام الصادق (ع) :

« إن المؤمن ليلقى أخـاه فيصافحـه ، فينظر الله إليهمـا والذنـوب تحات عنهما حتى يفترقا ، كما تحت الريح الشديد الورق من الشجر » .

ويقول رسول الله (ص) :

« المصافحة تذهب الغل » .

* * *

رابعاً : إقض على الظلم والحسد فيهم .

إبحث عن أسباب الشقاق وبواعث الحقد والخصام بين الأبناء ثم إقتلعها من الجذور وازرع مكانها رياحين المودة والأخاء .

ومن أسباب الخصام السيئة هي : الإعتداء والظلم والحسد .

فلو كان أبناؤك يعتدون على بعضهما البعض ويمارسون الظلم وفي صدورهم يعشعش الغل والحسد ، حينئذ فلا غرابة إذا لم تجد فيهم الحب والود والأخاء .

ترى كيف يمكن أن يحب الصغير أخاه الكبير ، وهي يقاسي من مرارة ظلمه وعدوانه ؟

إن وجدت الكثير من الأبناء يمارسون أقسى أنواع الظلم بحق إخوانهم وإخواتهم فهم يمارسون الضرب القاسي ، ويسلبون حقوق الأخوان في الأكل والمنام والملبس وكل شيء .

وأحياناً كثيرة تجد أن الأخ الأكبر في العائلة يصبح مستبداً الى أخر حد ، ويقوم بأحكام سيطرته الحديدية على إخواته المكسورات الجناح ، وكأنه سلطان جائر .

هنا لا بد أن يتدخل الأب ويفك القيد ويرفع الظلم ، وإلا فأن الأبناء ـ كلهم ـ سيصبحون على مشاكلة أخيهم الكبير ، لأن الأجواء الملتهبة تخلق من أفراد الأسرة وحوشاً ضارية ، تضطر الكبير أن يستضعف الذين هم أصغر منه ، وهكذا بالتسلسل حتى آخر طفل .

وهكذا الأمر تماماً بالنسبة للحسد ، فالابناء الذين ينامون على وسائد الحسد ويتلحفون بلحاف الحقد والضغينة ، وتنمو في صدورهم أعشاب الغل

هولاء الأبناء يعيشون حياة ضنكا ، لا تجد للمحبة أثراً فيها .

فالحسود بطبعه يبغض الآخرين ، ويكن لهم الحقد والكراهية ، ولـربما تسول له نفسه بالقضاء على من يحسده ، كما فعل قابيل بأخيه هابيل من قبل .

من هنا فإذا ما كنت تريد أن يسود الحب والود بين أبنائك ، فلا مناص من رفع أي بوادر سيئة مثل الظلم والحسد من بين أبنائك . . بل ولا بد أن تقتلها وهي في المهد قبل أن تترعرع وتكبر .

* * *

خامساً : إجعل الحوار والتفاهم وسيلة لحل المشكلات .

هنالك بعض الأبناء لا يعرفون طريقاً لحل المشكلات غير طريق المشاجرة والإشتباك الحاد ، وكأنهم أعداء وليسوا إخواناً !

ترى لماذا لا ينتهجون سبيل الحوار الهادىء بينهم ؟

بالطبع إن السبب يرجع الى الوالدين فهما المسؤولان خلق الأجواء والعادات والتقاليد في العائلة .

لذلك . . من المفترض أن لا ينسى الآباء تعليم أبنائهم عادة الحوار والتفاهم الرزين بدل أسلوب المناقشات العصبية والمشاجرات الصاخبة .

والمسألة لا تحتاج الى فلسفة وتنظير ، إذ يكفي لأحد الوالدين أن يستوقف أبناءه ـ في حالة حدوث أول صراع كلامي ويبدأ يحل لهم المشكلة بالتفاهم والسؤال الهادىء .

ونضرب مثالاً على ذلك : كثيراً ما يحدث أن يتشاجر طفلان على لعبة

معينة ، ويبدأ كل واحد منهما يجر اللعبة .

هنا على الأم أو الأب أن يسرع الى ولديه ، ويحاول أن يرضي أحد الطرفين بالتنازل ، مثل أن يقول لهما : ليلعب كل واحد منكما بهذه اللعبة نصف ساعة . . واحداً بعد واحد .

وهكذا على أي حال فالمهم أن ينهي المسألة بالتفاهم وبمرور الزمن يتعلم الأولاد هذه العادة الحسنة في حل أي مشكلة تطرأ لهم ، فيقضون بذلك على أي سبب للخصام قبل أن يفتح عينه للحياة .

* * *

سادساً : عرفهم . . حقوق الأخوان .

وهذه الحقوق يبينها الرسول (ص) في حديثه التالي :

قال رسول الله (ص) :

« للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً ، لا براءة له منها إلا بأدائها، أو العفو :

١ ـ يغفر زلته (أن الأخ ليس ملكاً ولا نبياً وإنما هو بشر . . يصيب ويخطىء ، ومن حقه على أخيه أن يغفر له زلته ويتجاوز عن خطيئته) .

٢ ـ ويرحم عبرته (إن من واجب الأخ تجاه أخيه أن يخفف عنه حزنه ويهون عليه رزيته) .

٣ ـ ويستر عورته (من الطبيعي أن الأخوان هم أكثر الناس معرفة بعيوب بعضهم البعض ، لذلك فعلى الأخ ـ إذا ما رأى بادرة سيئة من أخيه ـ أن يسترها ولا ينشرها) .

٤ ـ ويقبل عثرته (من صفات المؤمن ، أن يمتلك قلباً كبيراً وصدراً رحباً يستوعب بها عثرات إخوانه وأخطاءهم ولا يتخذ ردة فعل سيئة تجاهها) .

٥ ـ ويرد غيبته (أي إذا كان الأخ في مجلس ما وسمع من يغتاب أخاه ، فمن واجبه أن ينهي صاحب الغيبة ويوقفه عن الإستمرار فيها) .

٦ ـ ويقبل معذرته (ليس من الصواب ألا يعترف الإنسان بخطئه ، ولكن الأعظم من ذلك أن لا يقبل الأخ معذرة أخيه حينما يأتي إليه نادماً ، يقول الإمام علي (ع) : إقبل عذر أخيك ، وإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً) .

٧ ـ ويديم نصيحته (والحق السابع للأخ على أخيه هو أن يديم نصيحته بلا ملل أو تعب) .

٨ ـ ويحفظ خلته (أي لا بد من إدامة الصداقة بين الأخوان وتشذيبها من كل نقاط التباغض) .

٩ ـ ويرعى ذمته (إن للمؤمن كرامة عند الله لا بد من رعايتها ومن كرامته رعاية ذمته) .

١٠ ـ ويعوده في مرضه . .

١١ ـ ويشهد ميتته (إذا مات الأخ لا بد لإخوانه أن يحضروا جنازته وتشيعه) .

١٢ ـ ويجيب دعوته . .

١٣ ـ ويقبل هديته . .

١٤ ـ ويحسن جيرته . .

١٥ ـ ويكافيء صلته (فإذا قام الأخ بعمل ما تجاه أخيه فإنه ـ الأخير ـ مطالب بأن يكافىء عمله ، فإن قدم له خدمة فلا بد أن لا ينساها حتى يقدم له خدمة مماثلة) .

١٦ ـ وإن يشكر نعمته . .

١٧ ـ ويحسن نصرته . .

١٨ ـ ويحفظ حليلته (زوجته) .

١٩ ـ ويقضي حاجته (قضاء حاجات الأخوان من حقوق الأخوة وواجبات الأخاء) .

٢٠ ـ ويستنجح مسألته (أي يسعى لنجاح مسائله بأي شكل كانت وفي أي مجال) .

٢١ ـ ويشمت عطسته (فإذا عطس الأخ ـ أو أي أحد من الجالسين ـ لا بد أن يقول له الإنسان : « يرحمك الله » ويدعو له) .

٢٢ ـ ويرشد ضالته (كثيراً ما يحدث أن يحتاج الإنسان الى من يدله على الطريق ويرشده السبيل وهذا حق من حقوق الأخوان) .

٢٣ ـ ويطيب كلامه (أي يقول له : طيب الله أنفاسك) .

٢٤ ـ ويوالي وليه (أي يصادق صديقه) .

٢٥ ـ ولا يعاديه (لا يصبح عدواً لصديق أخيه) .

٢٦ ـ وينصره ظالماً ومظلوماً (فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه ، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه) .

٢٧ ـ ولا يسلمه (لا يتركه فريسة عند العدو ، ولا يتجاهله عند الخطر) .

٢٨ ـ ولا يخذله . .

٢٩ ـ ويحب له من الخير ما يحب لنفسه . .

٣٠ ـ ويكره له ما يكره لنفسه » .

* * *

بعد أن يكون أبناؤك قد تعلموا هذه الحقوق وأدوها تجاه إخوانهم ـ حينئذ ـ لا تخشى على نور الحب من أن ينطفىء بينهم بل وكن على أمل كبير من إزدياد شعلة الحب والمودة بصورة مستمرة ودائمة .

إجمال

أجل . . لكي يسود الحب والود بين أبنائك لا بد لك أن تقوم بمراعاة الوصايا التالية :

ـ أعرف متى تطبع القبلة وتوزع الحب .

ـ بين اهمية الأخ لأخيه .

ـ إسق شجرة الحب بينهم .

ـ إقض على الظلم والحسد فيهم .

ـ إجعل الحوار والتفاهم وسيلة لحل المشكلات .

ـ عرّفهم . . حقوق الأخوان .

الجزء السادس

كيف تسعد أبناءك ؟

الفصل الأول

أنظر الى إبنك من يصادق ؟

يظن البعض أن سعادة الأبناء تتحقق عبر الأمور الثلاثة التالية :

١ ـ توفير أفضل الأطعمة والمأكولات المختلفة اللذيذة ، والدسمة والحاوية على الفيتامينات والأملاح والحديد وكافة متطلبات الجسم الغذائية الأخرى .

٢ ـ توفير المكان الجيد والفراش الوثير ، والملبس الحسن .

٣ ـ توفير الدراسة ، في كل مراحلها حتى مرحلة التوظيف والعمل .

ويزيدهم البعض على ذلك ـ من الآباء ـ بأن يقوموا بإختيار الزوجة المناسبة لولدهم أو يساعدوه على الزواج بالدعم المادي ، مثل توفير المال والمسكن .

ونحن نقول : إن كل ذلك صحيح ، بل ومطلوب . . ولكن هل أن سعادة الأبناء تتلخص بهذه الأمور وفقط ؟

أو بالأحرى هل الذين حققوا لأبنائهم هذه الأمور ، هل أدخلوهم في حديقة السعادة الخضراء ؟

قد تكون السعادة هي كل ذلك . . إذا لم يكن في الحياة شيئاً آخر غير المأكل والمسكن والملبس والعمل .

ولكن ماذا نصنع ، والحياة ليست هي كل ذلك ؟

في الحياة : الدين بالإضافة الى الدنيا ، ولا بد من السعادة الدينية في الحياة الأولى والآخرة .

وفي الحياة : المجتمع بالإضافة الى الإنسان ، ولا بد من حسن المعاشرة مع الناس وإقامة العلاقات معهم .

وفي الحياة : الأخلاق بالإضافة الى البطن ، ولا بد من التصرف الأخلاقي الرفيع .

وفي الحياة : المسؤولية .

وفي الحياة : الفن والأدب .

وفي الحياة : الإلتزام والحدود .

وفي الحياة كل شيء وشيء .

ومن هنا ، يتضح أن على الوالدين أدوار أخرى يكون من الجدير بهم الإلتفات إليها ـ في هذه الحياة ـ حتى يحققوا أكبر قدر من السعادة لأبنائهم .

ومع الأخذ بعين الإعتبار أن بعض المسائل تكون مصدراً حقيقياً لسعادة الإنسان أو شقائه .

أي قد يكون إبنك فقيراً ولكنه يكون سعيداً في ظل الإيمان والإلتزام الديني ، بما لذلك من سعادة (تكتيكية) في الدنيا وسعادة (إستراتيجية) في الآخرة .

أو يكـون غنياً ، ولكنـه يعاني البؤس والشقـاء في ظل الكفـر والفسق ، والفجور .

وليس حـديثنا ـ هنـا ـ عن السعـادة الإيمـانيـة ، وإنمـا هـو حـديث عن موضوع آخر هام أيضاً ، وهو موضوع : علاقات الأبناء .

وأهمية ذلك نـابعة من أهميـة مسألـة العلاقـات في الحياة ومـا تترك من تأثيرات جمة على سعادة الإنسان أو شقائه .

ذلك لأن الصداقة والأصدقاء هما اللذان يحددان الطريق للإنسان .
ليس هذا وحسب ، فالصديق قد يختار للإنسـان الديـانة التي يبتغيهـا ، والسلوك الذي يرتضيه .

يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

فالصداقة قضية خطيرة ، لأن تـأثير الصـديق على صديقـه ، ليس تأثيـراً فجائياً ملموساً ، بل هو تأثير تدريجي ، يومي ، وغير ظاهر .

ومن هنا فإن الذين ينحرفون بسبب الصداقات لا يشعرون بـالإنحرافـات إلا بعـد فوات الأوان ، أو لا يشعـرون بها إطـلاقاً ، وهنـا مكمن الخطر ، لأن الإنحراف الذي لا يشعر به صاحبه أخطر من أي إنحراف آخر .

وإذا أخذنا بعين الإعتبـار حقيقتين هامتين وهمـا : قابليـة الإنسان للتـأثر بالأجواء التي يوضع فيها ، وخاصة تأثره بالأصدقاء .

وإن تأثير الصديق ليس مرئيّاً ، ولا فجائياً إذا عرفنـا ذلك ، فـإننا نعـرف حينئـذ خطورة « الصـداقة » في حيـاة الإنسان والمجتمـع ، وضرورة الإهتمـام بها .

وهنا قد يرتسم تساؤل يقول :

إذا كانت « الصداقة » تنطوي على هذه الخطورة ، إليس من الأفضل أن لا ندع أبناءنا يخوضون في هذا الأمر ؟

الجواب :

كلا ! . لا بد أن ندع أنفسنا وأبناءنا لتجربة الصداقة وإكتساب الأصدقاء .

ولكن . . بعد أن نجري عملية إختيار الأصدقاء لنا أو لأبنائنا .

فليس من الصحيح أن يتخذ الأبناء أصدقاء بلا حساب ، كما ليس من الصحيح أن يعيشوا وحدهم ، منعزلين عن الناس ، لأن العزلة حالة حيوانية ، وليس من مبادىء الإسلام .

فكما أنه ليس من الصحيح أن لا تمتلك سيارة أو بيتاً إلا أنه يجب أن يكون ذلك من الحلال ، لا الحرام ، كذلك ليس من الصحيح أن لا تمتلك أصدقاء ، ولكن يجب أن يكون إختيار الأصدقاء مناسباً ، لا عشوائياً .

ولا أعتقد أن هناك من لا يؤمن بضرورة الأصدقاء ، وإلا فليبني لنفسه سجناً إنفرادياً ويقضي حياته فيه الى الأبد .

ونأتي هنا ببعض الأحاديث الشريفة حتى تتجلى لنا أهمية « الصداقة » ومن ثم لندفع أبناءنا الى ثمارها اليانعة ، ورياحينها الزاهرة .

يقول رسول الله (ص) :

« خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ، ويؤلفون » .

ويقول الإمام علي (ع) :

« خالطوا الناس مخالطة إن عشتم معها حنوا إليكم ، وإن متم معها بكوا عليكم » .

ويقول الإمام أيضاً :

« يـقـولون أن الـمـوت صعـب عـلى الـفـتـى . .

مـفـارقـة الأحـبـاب والله أصـعـب »

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق (ع) :

« إكثروا من الأصدقاء ، فأنهم ينفعون في الدنيا والآخرة ، أما الدنيا فحوائج يقومون بها ، وأما الآخرة فأهل جهنم قالوا : فما لنا من شافعين ولا صديق صميم » .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« ما أحدث عبداً أخاً في الله ، إلا وأحدث الله له درجة في الجنة » .

* * * *

أجل . . إذا كان ولا بد من الأصدقاء ، في الحياة ، ومن هنا كان لا بد على الآباء أن يحسنوا إختيار الأصدقاء لأبنائهم ، كما أن عليهم أن يحسنوا إختيار الطعام واللباس والمكان الجيّد . .

وعملية الإختيار هذه تتم عبر طريقتين وهما :

الطريقة الأولى : يقوم الوالدان بتحديد الأفراد الذين تصح مصادقتهم ، ومن ثم يشيرون إلى أبنائهما للذهاب إليهم وربط العلاقة معهم ، وبغير هذه الصورة فلا يجوز للأبن أنْ يصادق أحد خوف الوقوع بين يدي أصدقاء السوء .

وهذه الطريقة لا تكون بمعزل عن الخطر القاتل ، الذي يقتل في الأبناء ثقتهم بأنفسهم ، وإعتمادهم على ذواتهم ، ليس في مسألة واحدة كمسألة الصداقة ، لربما في مسائل الحياة كلها .

الطريقة الثانية : أن يبين الوالدان لأبنهما صفات الإنسان الصالح الذي يكون مؤهلاً لربط العلاقة معه ومؤاخاته كما يبينان ـ أيضاً ـ صفات من لا ينبغي الدنو منه ومصادقته .

وإهذه هي الطريقة التي تفيض بالحسنات ولا ضير ـ بعد ئذ ـ من أن يشير الآباء الى بعض الأفراد كمثال مجسد للصفات الحسنة ويأمروا أبناءهم لمصادقتهم .

فما هي تلك الصفات التي يجب أن نبينها لأبنائنا ، حتى يختاروا أصدقاءهم ـ هم ـ بأنفسهم في كل مكان وزمان ؟

والجواب :

أولاً : صفات الذين تصح مصادقتهم ، وهي :

واحد : العلم .

يقول الإمام علي (ع) :

« خير من صاحبت ذوو العلم والحلم » .

ويقول أيضاً :

« عجبت لمن يرغب في التكثر من الأصحاب ، كيف لا يصحب العلماء؟ »

ويقول (ع) :

« ينبغي للعاقل أن يكثر من صحبة العلماء والأبرار » .

وفي حديث آخر : « إعلموا أن صحبة العالم ، وأتباعه دين يدان به ، وطاعته مكسبة للحسنات ، وممحاة للسيئات ، وذخيرة للمؤمن ، ورفعة في حياتهم ، وفي مماتهم ، وجميل الأحدوثة عند موتهم » .

وقد جاء في المروي عن لقمان الحكيم قوله :

« يا بني . . جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فإن القلوب لتحيا بالحكمة ، كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر » .

إثنين : الحكمة .

يقول الإمام علي (ع) :

« صاحب الحكماء ، وجالس العلماء ، واعرض عن الدنيا » .

ثلاثة : العقل .

يقول الحديث الشريف : « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .

وجاء أيضاً : « فساد الأخلاق معاشرة السفهاء ، وصلاح الأخلاق معاشرة العقلاء » .

وفي حديث آخر : « لا تصحب إلا عاقلاً تقياً ، ولا تخالط إلا عالماً زكياً ، ولا تودع سرك إلا مؤمناً وفياً » .

ويقول الإمام علي (ع) :

« من صاحب العقلاء وقر » .

ويقول (ع) : « معاشرة العقلاء تزيد في الشرف » .

أربعة : الزهد .

الطائفة الرابعة ، الجديرة بالصداقة ، هم الأبرار من الأتقياء والزهاد الذين يذكرون الإنسان بالآخرة ويدفعونه إلى الإلتزام بالتقوى » .

يقول الحديث الشريف : « ليكن جلساؤك الأبرار وإخوانك الأتقياء والزهاد لأن الله تعالى يقول في كتابه : « الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « إحذر أن تواخي من أرادك لطمع أو خوف أو فشل أو أكل أو شرب ، واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض ، وإن أفنيت عمرك في طلبهم ، فإن الله (عزّ وجل) لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد النبيين ، وما أنعم الله على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق منهم » .

وجاء في الحديث أيضاً: « إذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا فاقتربوا منه فأنه يلقى الحكمة » .

خمسة : الخير والفضيلة .

يقول الحديث الشريف : « أسعد الناس من خالط كرام الناس » .

وجاء أيضاً : « عاشر أهل الفضائل تنبل » .

ويقول حديث آخر : « قارن أهل الخير تكن منهم ، وبائن أهل الشر تبن عنهم » .

ستة : الصدق والوفاء .

يقول الحديث الشريف : « عليك بأخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء » .

ويقول الإمام الكاظم (ع) :

« إياك ومخالطة الناس والأنس بهم ، إلا أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً فأنس به ، واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية » .

سبعة : الخلق الكريم .

يقول الحديث الشريف : « لا تجالسوا الاعند من يدعوكم الى خمس ، من الشك الى اليقين ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن العداوة الى المحبة ، ومن الرياء الى الأخلاص ، ومن الرغبة في الدنيا وأمورها الى الزهد » .

* * *

ثانياً: صفات : الذين لا تصح مصادقتهم ، وهي :

واحد : الحمق .

يقول الإمام علي (ع) لولده الحسن : « يا بني إياك ومصادقة الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك » .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« من لم يتجنب مصادقة الأحمق يوشك أن يتخلق بأخلاقه » .

إثنين : البخل .

يقول الإمام علي (ع) :

إياك ومصادقة البخيل ، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه » .

ثلاثة : الفجور .

يقول رسول الله (ص) :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يواخين كافراً ولا يخالطن فاجراً ، ومن آخى كافراً أو خالط فاجراً كان كافراً فاجراً » .

وذات يوم قال الإمام الكاظم (ع) لرجل من أصحابه : ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب ؟ فقال : إنه خالي .

قال الإمام : أنه يقول في الله قولاً عظيماً ، يصف الله ولا يوصف ، فإما جلست معه وتركتنا ، وإما جلست معنا وتركته .

فقال : هو يقول ما شاء ، أي شيء علي منه إذا لم أقل بقوله ؟

فقال له الإمام (ع) : أما تخاف أن تنزل نقمة فتصيبكم جميعاً ؟

أربعة : الكذب .

يقول الإمام علي (ع) :

« وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب ، يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب » .

ويقول الإمام الصادق (ع) : كان أمير المؤمنين (ع) إذا صعد المنبر قال : « ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة :

الماجن ، والأحمق ، والكذاب ، أما الماجن فيزين لك فعله ، ويحب أن تكون مثله ، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك ، ومقارنته جفاء وقسوة ، ومدخله ومخرجه عليك عار ، وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه ، وربما أراد منفعتك فضرك ، فموته خير

من حياته ، وسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه ، وأما الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش ، ولا ينقد حديثك ، وينقل إليك الحديث ، كلما أفنى أحدوثة مطها بأخرى حتى يحدث بالصدق فما يصدق ويغري بين الناس بالعداوة فينبت السخائم (الأحقاد) في الصدور فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم » .

* * * *

وإليكم ـ الآن ـ بعض المقترحات النافعة في هذا المجال وهي :

١ ـ لاتنسى المراقبة ميدانياً ،

بعدما تكون قد بينت لأبنك صفات الذين يجب مصادقتهم ، والذين ينبغي الأبتعاد عنهم ـ عندئذ ـ ينبغي عليك أن تكمل المشوار ، ولا تنسى أن من مهمتك الدائمة هي الإشراف والمراقبة حتى تتدخل عند الضرورة لإنتشال إبنك من صديق سوء ، يكاد يجرفه الى الهاوية .

ولكن حذار أن تتحول الى « شرطي » تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في شؤون إبنك الإجتماعية .

٢ ـ إدفع إبنك الى المزيد .

ليكن في خلدك أن كسب المزيد من الأصدقاء الصالحين ، يعد أكبر مغنماً يحققه أبناؤك من أجل النجاح في الحياة .

فالأصدقاء هم جناح الإنسان الذي يطير به .

لذلك فلا تتردد في دفع أبنائك الى مصادقة الأخيار من أترابهم .

٣ ـ علمهم فنون الصداقة .

للصداقة مع الناس فنون كثيرة ، عليك أن تبحث عنها وتقدمها لأبنائك .

٤ ـ مصادقة أصدقائهم .

لكي نعرف قيمة هذه الوصية ، لنتصور كم هو حجم الفرح والسرور ، الذي يعم قلوب الأبناء حينما يكون الأب مثلاً قد دعى أصدقاء إبنه ، الى الجلوس معه ، في بيته ، لتبادل أطراف الحديث عن الدراسة ، والهوايات ، والطموح لكل واحد منهم .

ذلك من الجميل جداً ، بالإضافة الى أنه يساعد على : أشعار الابن بأهميته وشخصيته ، ويكشف للأب ـ من جانب آخر ـ هوية هؤلاء الأصدقاء الذين يصادقهم إبنه .

الفصل الثاني

أتعب على الوليد الأول

يحتل الوليد الأول مكانة ذات أهمية بالغة ، وخطيرة في العـائلة ، لما يلعب من دور هام في التأثير على إخوانه التالين من بعده .

فالطفل ولأنه يقلد الذين يكبرونه سناً ، تجـده يكون نسخـة طبق الأصل عمن يكون معه وأمامه .

والطفل قبل أن يقلد والديه ، فإنه يقلد إخوانـه ، ومن هو في تـربه ، أو الذين يكبرونه قليلاً .

وهناك الكثير من الأمثلة التي تحضرك في هذا المجـال . . أليس كذلـك ؟ ألم يحدث لك وشاهدت ـ في طريقك ـ جوقة من الأطفال . . هل رأيت كيف يلعبون ، ويركضون ؟

لو كنت قد دققت النظر لرأيت أن أفعالهم تأتي طبق الأصل لأفعال كبيـر الجوقة . .

وإذا لم تكن قـد لحظت ذلـك ـ جيـداً ـ فـلابـأس بـأن تمعن النـظر في المرات القادمـة ، فيما لـو وجدت مجمـوعة من « الأخـوان » الصغار ، حينئـذ أنظر كيف يتبع الطفل الصغير أخاه الأكبر ، وكيف يحاول أن يأتي بنفس أفعال

أخيه في طريقة المشي والركض والكلام ، ويتبعه في كل شيء ، كما يتبع الفصيل أثر أمه .

هذا بالإضافة الى أن الكبير ـ من الأبناء ـ يمارس دوره القيادي على من هو أصغر منه ، من إخوانه وإخواته ، فهو يقودهم ـ بجرأة القائد الواثق ـ الى كل عمل ، وفعل يحبه هو ويذهب بهم الى كل مكان ، هو يرغب فيه .

والعملية قد لا تقتصر على مرحلة الصغر ، وإنما تستمر ـ في أحيان كثيرة ـ الى مرحلة الكبر ، حيث تكون للابن الأكبر حصة وافرة في صناعة القرار العائلي ، كما ويكون له الأثر على منحى الحياة فيها .

من هنا فلو كان الوليد الأول حسن الطباع ، ومؤدب الأخلاق ، وصالح الأعمال ، فإنه لا شك ـ سيترك أثراً حسناً على إخوانه وأخواته ، يستضيؤون به ، ويقتدون بجمال صفاته .

بينما لو كان الإبن الأكبر إنساناً بذيئاً في الأخلاق ، يعمل السيئات ، ويرتكب المحرمات ، ويتجرأ على الآخرين ، ويعتدي على الحقوق ، ويقترف المساوىء والفجور ـ عندئذ ـ فلا نستطيع أن نأمن على إخوانه من شره المستطير .

أو ليس هو يكون ـ عندئذ ـ بين إخوانه كالتفاحة الفاسدة في صندوق الفاكهة ، التي سرعان ما تفسد جميع التفاح ؟

بناء على ذلك فالأب الذي يريد أن يوفر على نفسه الجهد والوقت الكثير ، ويتخلص من التبعات السيئة في تربية أبنائه ، ما عليه إلا أن يتعب على تربية وليده الأول ، ويصنع منه المثل الذي يحتذى به ، ليس لأبنائه التالين فقط ، وإنما يستطيع أن يقدمه ـ أيضاً ـ لكل الأبناء ، ومن ثم لكل الأمة .

وعلى أي حـال فإن هـذا لا يعني أن نترك تـربيـة الأبنـاء الآخـرين على الغارب ، ولا نعير لهم أي إهتمام .

الفصل الثالث

تجارب الآباء خير رؤية للأبناء

يمتلك الآباء ـ خلال سني الحياة الطويلة ـ تجارب ثرة في مختلف شؤون الحياة ، سواء تجارب الفشل أو تجارب النجاح .

ولكل أب رصيد كبير من التجارب الهامة حتى ولو كانت عادية وبسيطة ، فالتجربة لها ثمن قيم ، حتى ولو كانت مثل تجربة الكسب والتجارة ، أو مثل تجربة الدراسة والمدرسة ، وأيام الصغر .

أوليست هي تجربة الحياة . . وقد خاضها الأب بكل فصولها حتى نشأ وترعرع ، وأصبح رجلاً يعتمد على نفسه ، ثم تزوج وأصبح أباً لمجموعة من الأبناء .

أو تلك الأم التي أصبحت قديرة في إدارة الشؤون المنزلية ، وناجحة في تربية الأطفال ، وسعيدة في حياتها الزوجية .

إن هذه الأم ، وذلك الأب وأمثالهما مليئان بعشرات التجارب ، وبإستطاعتهما أن يقدما لأبنائهما العبر والدروس النافعة ، وبغزارة .

إذن فلا تستهينوا بتجاربكم ، ولا يقولن أحد ماذا أمتلك من التجارب غير التجارب الفاشلة !

أن التجارب الفاشلة ، هي التي يستفاد منها في عدم الوقوع في

الفشل ، وارتكاب الأخطاء مرة أخرى .

وكما يقال ، فـإن كل إنســان ناجـح ، إنما يمتلك مخـزوناً من تجـارب الأخفاق .

ومثال على ذلك تجربة صنـاعة الـطائرة ، فلولا تجـربة المختـرع الأول « عبـاس بن فـرنـاس » الـذي حـاول الـطيـران فسقط ، وعشـرات التجـارب الأخرى ، لما كانت اليوم طائرات الكونكرد وغيرها من الطائرات المتقدمة .

إذن . . لا للاستهانة بالتجـارب ، كما لا للخجـل ، ، الذي قـد يكون مانعاً من تقديمها الى الأبناء .

وإذا كان على الآباء أو الأمهات أن يقدموا تجاربهم للأبناء . فإن عليهم أن يلتفتوا الى نقطة هامة في هذا الباب وهي :

« تقديم التجربة بعيداً عن روح اليأس »

ونأتي هنا بمثال على ذلك : يقـول أحد الشبـان وهو من العـاملين على السـاحة السيـاسية : « كـان والدي ـ والـذي يبلغ الثمانين من عمـره الآن ـ قد دخـل الحياة السيـاسية في أيـام شبابـه ، وخاض صـراع التحريـر ضد السلطة الحاكمة ، ولكن لم يحـالفهم الحظ في تحقيق النصر بـالرغم من مضي سنين عديدة ، وتجارب مضنية كثيرة .

ويضيف هذا الرجل قائلاً :

إن والـدي كان قـد وصل الى حـد اليأس من جدوانية العمـل التغييـري والثورة ضد السلطة الطاغية .

وكان يقدم إلي تجاربه بروح يائسـة ولكنني ـ وبحمد الله ـ إزددت عـزماً

وإصـراراً على المضي قدمـاً في سبيل الثـورة والتغيير ، ولـم أكن اسمح لنفسي بـالتأثيـر السلبي ، بل وامنت أن النجـاح لا يأتي إلا عن طـريق العشـرات من تجارب الأخفاق .

إذن على الآبـاء أن يقـدمـوا تجـاربهم . . ولكن على طبق من الأمـل ، وبروح إيجابية .

الفصل الرابع

ماذا تفعل لو كنت أحد هؤلاء الآباء ؟

ماذا تفعل تجاه أبنائك لو كنت أحد الأشخاص التالين الثلاثة :

لو كنت : فقيراً ؟

لو كنت : غنياً ؟

ولو كنت : شخصاً مرموقاً أو عظيماً ؟

أولاً : ماذا تفعل لو كنت فقيراً ؟ أي لو كان دخلك محدوداً أو كنت تعيش في ضائقة مالية فماذا تفعل وكيف يجب أن تتصرف مع أبنائك ؟

حينما يخرج إبنك الى المدرسة ، وهو لا يرتدي غير الأقمصة والملابس العتيقة البالية ، ويصادف زملاءه في الدراسة ، وقد لبسوا أفضل الأقمصة والثياب الجديدة الأنيقة ، إن هذا الموقف ـ لا شك ـ سيترك أثراً في نفس الطفل ، ويجعله يشعر بنقص أو دناءة عن الأطفال الآخرين .

وكذا لو كان المسكن متواضعاً ولا تعتبر له قيمة بين القصور والبيوت العاليات ـ وبالخصوص ـ لو كان البيت خرباً أو فيه عيوب يذهب بماء الوجه .

فالطفل ـ مثل الكبير ـ يدخله الخجل والحياء من رؤية منظر بيتهم المتداعي أمام الأصدقاء والأتراب .

وهكذا الأمر ـ أيضاً ـ بالنسبة للطعام ، والشراب ، فأطفال الجيران ، أو تلاميذالمدرسة يتساءلون فيما بينهم عن وجبات الغذاء أو العشاء في اليوم الفائت ، ما هي ، وماذا كانت ؟ ويتفاخر بعضهم بأن وجبة غذائهم كانت دسمة وشهية .

أمام هذه المواقف يظل طفلك يشعر بالحرج والنقص . . ويفكر ترى أليس الآخرين أفضل منه ؟ !

وتزداد المسألة سوءاً فيما لو كان الأب يعير إهتماماً للأغنياء ، ويعتبرهم أصحاب القيمة العليا ، ويشعر تجاهم بحقارة وتذلل .

والخطورة في الأمر ، أن يخلق هذا الوضع « عقدة الحقارة » في نفسية الأبناء ، ويجعلهم يشعرون بنقص في شخصيتهم أمام الآخرين ، وبالتالي يؤدي بهم الأمر إلى التراجع وعدم الإقدام في الصراع مع مشاكل الحياة التي تتناولهم في كل الأوقات .

وللتخلص من هذه النتائج السيئة ، عند الأطفال المحرومين ، يرى خبراء التربية ضرورة إتباع الوصية التالية :

« لا تجعل قيمة للمال ، في نفسك وفي ولدك ، وحاول ـ دائماً ـ أن تعلم أبناءك بأن قيمة الإنسان في عقله وعمله ، وخلقه ، وليست في ماله » .

ولذلك فإن « أكرم الحسب حسن الخلق » كما قال الإمام علي (ع) .

فالأخلاق الحسنة هي التي يجب أن تكون مقياساً للتفاضل والرفعة ، لقد جاء في الحديث عن الإمام علي (ع) أيضاً : « كم من وضيع رفعه حسن خلقه » .

وعلى هذا الأساس يجب أن نعلم أبناءنا بأن المال لربما يكون مصدراً

لشقاء الإنسان وعذابه إذا ما بخل الإنسان به واستغنى ، ومنع رفده عن الناس .

وفي هذا الصدد نجد أن الإسلام قد إعتبر أن العمل الشائن والمقيت أن يجعل الإنسان للمال قيمة ، وللغني وزناً لا لصفة غير الغنى وقد قال الإمام الرضا (ع) : « من لقي فقيراً مسلماً فسلّم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله (عز وجل) يوم القيامة وهو عليه غضبان »(١) .

ويقول الإمام علي (ع) : « لا تضعوا من رفعته التقوى ، ولا ترفعوا من رفعته الدنيا »(٢) .

لماذا . . ذلك لأن القيمة الحقيقية يجب أن تكون للإنسان ، لا لماله ، لأن ماله زائل ، بينما هو يبقى كانسان .

هذا بالإضافة الى اننا إذا ما أصبحنا نعير إهتماماً لصفات العلم والأخلاق أكثر من أي شيء آخر ، فان هذا يعني التقدم بعينه .

بينما الأمة التي تعبد المال ، وتجعل القيمة العليا للدينار والدرهم . . نجد أن هذه الأمة تسحق الإنسان بسهولة ، لأنها سبق وأن سحقت القيم الإنسانية فيه .

بهذه النظرة المعتدلة للمال يستطيع الأبوان أن يجعلا المناعة في أبنائهما ضد عقدة الحقارة والنقص أمام الأغنياء والمترفين .

وبهذه الطريقة إستطاع المسلمون الحفاة أن ينتصروا على حضارة الفرس والروم وكل الأسياد الوهميين الذين كانوا يحكمون الناس لا لصفة حسنة كانت عندهم أو لعلم غزير كان لديهم ، وإنما للقوة والمال الذي كان وراء ظهورهم .

* * *

---

(١) بحار الأنوار ج٦٩/ص٣٨ .

(٢) بحار الأنوار ج٦٩/ص٤١ .

ثانياً : لو كنت غنياً . .

قبل أن نتطرق الى ما يجب أن تتصرف به حيال أبنائك ، نود القول بأن الغنى والنعمة الوافرة ، والحياة المرفهة السعيدة ، ليست من الأمور المقيتة في الإسلام ، بل هي من الأمور الحسنة والمطلوبة ، فالقرآن يقول :

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا﴾ .

ونحن نقرأ في الدعاء المروي عن الإمام السجاد (ع) ونقول : « اللهم أرزقني من فضلك الواسع ، الحلال الطيب رزقاً واسعاً ، حلالاً طيباً ، بلاغاً للدنيا والآخرة ، صبا صبا هنيئاً مريئاً من غير كد ولا منٍ من أحد من خلقك إلا سعة من فضلك الواسع » .

كما وهناك أحاديث كثيرة تذم الفقر مثل الحديث الذي يقول :

« الفقر الموت الأكبر » .

بناء على ذلك ، فليس المطلوب أن لا تملك المال ، وإنما المطلوب أن لا يملكك المال .

ومن هذا المنطلق عليك ـ أيضاً ـ أن لا تعير أهمية للقيم المادية ، وأعلم أن الإمام علي (ع) يقول :

« ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك » .

إذن . . فالقيمة التي يجب أن نعتز بها ليست قيمة المال ، وإنما هي قيمة العلم والأخلاق . وهذا هو ـ بالضبط ـ ما يجب أن تقوله لأبنائك حتى لا

ينامون على حرير المال ، ويظنون أنهم فوق البشر ، وأفضل من الناس جميعاً ، وهم ـ في حقيقة الأمر ـ لا يملكون من الكفاءات العلمية ، والمواصفات الإنسانية والتي بدونها يفقد الإنسان إنسانيته ، ويصبح عبداً للمال والمتجر ، ولا يهمه سوى نفسه .

فخير هدية تقدمها لأبنك ـ إذا كنت غنياً ـ أن تجعله لا يؤمن بالمادة كأساس للرقي والتقدم ، وتدفعه لأن يبحث عن الصفات الأصيلة والأخلاق الحميدة ، والعمل الصالح .

كما ولا تنسى أن تنمي فيه الكرم والعطاء وخدمة الناس ، وفعل الخير ، ومساعدة الفقراء والمحرومين ، واحترامهم .

وذكّرهم ـ دائماً ـ بأن لا يحقروا فقراء المسلمين ، ولا يرو لأنفسهم فضلاً أو علواً عليهم .

فإن الرسول الأعظم (ص) يقول :

« من إستذل مؤمناً أو مؤمنة ، أو حقره لفقره أو لقلة ذات يده شهره الله (تعالى) يوم القيامة ثم يفضحه »[١] .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « من حقر مؤمناً مسكيناً لم يزل الله له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه »[٢] .

* * *

ثالثاً : لو كنت شخصية مرموقة . . أو كنت عظيماً من العظماء . . أو عالماً من العلماء !

هنالك مقولة مشهورة تقول : « إبن العظيم لا يصبح عظيماً ! »

لماذا ؟

---

(١) بحار الأنوار (٤٤) .

(٢) بحار الأنوار ج٦٩/ص٤٤ .

الجواب : ليس لأن هنالك أشكال أو خلل في تكوين أبناء العظماء ، وليس هناك قصور في عقولهم ـ مثلاً ـ حتى لا يكونوا مثل آبائهم .

وإنما هنالك شيء واحد ، هو الذي يعيقهم ـ غالباً ـ من إرتقاء سلم العظمة والنبوغ ، وهو : « العيش على أمجاد آبائهم ، ووراثة سمعتهم ، وشرف عظمتهم بين الناس » .

وهذا ما نجده بالفعل ، فإن كثيراً من الناس إنما ينطلقون في درب العلم وإرتقاء سلالم العظمة ، إنما تكون ـ من جملة ـ دوافعهم القوية ، هو حب أن يكونوا شيئاً مذكوراً في الحياة أو لفت أنظار الناس حولهم حتى يشار إليهم بالبنان .

بيد أن هذا الدافع قد لا يكون لدى أبناء العظماء . . أو ليس الناس يلتفون حولهم ، ويتمنون الجلوس إليهم ، والتحدث معهم . . فلماذا إذن التعب ، والنصب أو ليس يكفيهم ما ورثوه من آبائهم من الشرف والعظمة ؟ !

هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد أن من العوامل الأخرى التي لا تحالف أبناء العظماء من بلوغ درجة آبائهم ، هو عامل إنشغال الآباء بأنفسهم والآخرين ، دون أن تكون لهم فرصاً كافية للاهتمام بأبنائهم بشكر مطلوب .

وعلى أي حال ، لا ينبغي إهمال هذه الملاحظة ، لما لها من نتائج لا تحمد عقباها ، ولربما قد تسيء إلى شخصية الأبناء ، وتترك أثراً سلبياً قد يكون ـ على أقل الإحتمالات ـ باعثاً للشعور بالعظمة الجوفاء !

ولكي تنقذ إبنك وتنجيه من كل النتائج والإحتمالات الخطرة ، التي يمكنها أن تحدث ، يرى العلماء أن تتبع الوصايا التالية في هذا الصدد :

١ ـ إخلق له دوافع أخروية . . أي إجعل الدافع الوحيد فيه هو دافع

العمل لليوم الآخر ، يوم يقوم الناس ليوم الحساب ، وليس دافع السمعة والسلطة ، والعلو في الدنيا .

وتستطيع أن تحقق هذا العمل عبر تغيير المنطلق في إبنك منذ الصغر ، فعلى سبيل المثال : لو كان إبنك يريد أن يصبح عالماً أو طبيباً فليكن المنطلق ليس من أجل الحصول على المادة أو السمعة والشهرة ، وإنما ليكن منطلقه تحقيق رضا الله (عز وجل) عبر خدمة الناس والبلاد .

وهكذا في كل شيء . . ليكن سعيه وعمله من أجل الحصول على الأجر الأخروي والفوز بالجنة .

ولتأكيد هذا المنطلق في الطفل ، نرى من الضروري له التحدث عن الجنة وما أعد الله (تعالى) للمؤمنين من خير ونعيم .

٢ ـ دعه يعتمد على تكوين شخصيته بعيداً عنك .

وذكره دائماً ، بالحكمة التالية : « ليس الفتى من قال كان أبي . . وإنما الفتى من قال ها أنا ذا » !

ومن هنا نجد ان الرسول الأعظم (ص) كان يقول لإبنته فاطمة الزهراء (ع) :

« بنية !

« لا يخدعك الناس ، يقولون إبنة محمد . . فاني لا أجزيك من الله شيئاً » .

وهكذا يجب أن تقول ـ أنت ـ لأبنائك ، حتى لا ينخدعوا بما ليس فيهم أو لديهم ، ولا بد أن نعرفهم حقيقتهم ، من أجل أن لا يناموا على أحلامهم الكاذبة ، وينطلقوا في الحياة بجد واجتهاد .

وليكن الحديث التالي نصب أعينهم ، حيث يقول الله (عزّ وجل) في الحديث القدسي :

﴿خلقت الجنة لمن أطاعني ، ولو كان عبداً حبشياً ، وخلقت النار لمن عصاني ، ولو كان سيداً قرشياً﴾ .

وحذرهم أن يكونوا مثل تلك الإمرأة الصلعاء ، التي حينما سئلت عن شعرها أين هو ؟ أشارت الى شعر زوجة أخيها وامتدحته كثيراً .

٣ ـ إمنع الناس من التعامل الخاطىء معهم .

يحدث ، أحياناً كثيرة أن الناس ، ولأنهم يعظموك ، ويودوك ، فإنهم يحبون كل شيء يمت إليك بصلة ، وأبناؤك أول من تنزل عليهم بركاتك ، ويأتون في الدرجة الثانية بعدك في التقديس والتعظيم والإكرام ، والمحبة ، ليس لأنهم عظماء وإنما لأنهم ينتمون إليك والى شخصك الكريم فقط .

ولا نرى بأساً في ذلك ضمن حدود المعقول . . فالحديث الشريف يقول : « جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً » .

ولكن . . إذا ما كانت النتائج معكوسة ، ووجدنا أن آثارها على الأبناء ستكون بشكل سلبي . . عندئذ يجب التدخل وتنبيه الناس بطريقة فنية الى تغيير تصرفهم حيال الأبناء ، والمسألة مهمة حتى إذا ما إضطر الأب بأن يصرح بعدم رضاه للطريقة الخاطئة التي تتم فيها معاملة أطفاله ، مثل تدليلهم ، وتقبيلهم ـ بصورة كثيرة ـ وإجلاسهم في الأحضان ـ بالرغم من تجاوزهم مرحلة الطفولة ـ والتغاضي عن أخطائهم ، والضحك في وجههم عند إقترافهم بعض الأخطاء المتعمدة ، والسكوت على كل شيء يفعلونه لا نرتضيه ـ نحن ـ من أطفال الآخرين ، بل وحتى من أطفالنا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى . . على الأب العـزيز ـ في مثـل هذه الحالات ـ أن يرشـد أبناءه الى الأعـلان عن رفضهم وعدم إرتيـاحهم لكل من يتصرف معهم خارج الحدود المتعارف عليها

كما وعليه ـ أيضاً ـ أن يقول لهم ان ما يواجهـونه من الإحتـرام والتقديـر البـالـغ ، ليس لأنهم على شيء ، وإنمـا هـو خلق كـريم وتفضـل من النـاس إعتادوا عليه .

الفصل الخامس

الديكور . . نعمة أم نقمة ؟

الأطفـال ـ والبنـون منهم على الخصـوص ـ لا يملون من الحـركـة الدائبة ، واللعب المستمر ، وانك لتكاد تسمع طنينهم ، وضجيجهم المتعـالي الى عنـان السمـاء ، حتى إذا خيم الليـل إستسلمـوا لسبـات عميق ، وكـأنهم عمال قضوا يومهم جاهـدين في هدم الجـدر والبيوت ، أو فـلاحين عادوا وقـد أضناهم الحرث ، وفت في عضدهم المشي .

فاللهو واللعب يعتبر عند الأطفال قضية أساسية في حيـاتهم ، ولهذا فهم يتفننـون ، ويحولـون كل شيء الى مـادة للعبهم ، ولو إقتضى ذلـك أن يقلبوا الـدار الى مدينـة للألعـاب ، ويصنعوا من لـوازم البيت وأثاثـه بيوتـات صغيرة لهم .

وهكذا يجد الطفل لـذته وفـرحته في اللعب بـالأخشاب ، والكـراسي ، والطاولات ، كما يستأنس ـ أيضاً ـ بالفراش والسجـاد ، والسرر ، والمسـاند ، ولعلك تجـده وقد جمـع الأفـرشـة ، وصعـد على المنضـدة أو على أي شيء رفيع ، وبدأ يقفـز ، ثم يصعد ، ثم يقفـز ، ويعود الكـرة وهو في نشـوة الفرح الكبير .

وهنـا ينتصب سؤال يقول : هـل المطلوب أن نتـرك العنان لأطفـالنا . .

ليفعلوا ما يشاؤون ، ويقلبوا الدار على رؤوسهم ؟

الجواب : لا . . ليس من الصحيح أن نعطي الأطفال جوازاً مفتوحاً ، ونسكت على كل أفعالهم وخربطتهم في الدار ، فالإفراط في فسح الحرية للطفل ، كالإفراط في إعطاء الماء للزرع ، فهو يفسد أكثر مما يصلح ولكن قليلاً من الحرية ، كقليل من الماء للزرع ، أمر ضروري لنمو قدرات الأطفال ، وإسعادهم .

ولا يغيب عن بالنا أن البيت والأثاث ، والديكور إنما هو لإسعاد الأبناء لا لشقائهم .

ولهذا . . فلا يجوز أن نطرد الأطفال الى خارج البيت ، لكي لا يتسببوا في تعكير الأجواء ، ولا يلمسوا الأثاث ولا يمشوا على السجاد ، ولا ينطقوا بكلام .

أو ليس البيت والديكور للترفيه عن الأهل والعيال والأبناء . . أم وضع لكي يكون متحفاً أنيقاً للمتفرجين ، والسائحين ؟

ان علينا أن نحافظ على أناقة بيوتنا ، وجمالها الرائع ، ولكن دون أن يكون هذا هو مبلغنا الأول والأخير .

فالديكور يجب أن يكون في خدمة الأطفال ، وليس العكس ، ولندع أطفالنا يتنعمون ، ولو كانت سعادتهم على حساب إتلاف الشيء البسيط من ممتلكات المنزل ، أو إراقة قليل من الماء فوق السجاد الثمين ، أو تمزيقهم للأوراق فوق السرر ، والمراقد .

دعنا نتساءل : أيهما يجلب السعادة ـ أكثر ـ لأبنائنا . . هل طردهم من الصباح وحتى المساء خارج البيت حفاظاً على الديكور ؟ أم السماح لهم

بالمكوث واللعب في الدار من أجل رفاهيتهم وعيشهم بهناء ؟

إن الديكور يمكننا أن نبدله كل عام ، والأثاث يمكننا ـ أيضاً ـ أن نستعيض عنه بآخر ، ولكن هل يمكننا أن نحقق سعادة أطفالنا بطردهم ، الى خارج فناء الدار ، حيث لا مأوى لهم غير الشوارع والأزقة وبيوت الجيران ؟

إن الأمهات اللواتي يطردن أطفالهن من الدار ، ويصبحن شرطيات في البيت فيأمرن وينهين بأوامر وقوانين صارمة ، ولا يسمحن لأطفالهن بأي حركة أو فعل أي شيء خشية من أن ينزعج الديكور ، وخوفاً من تساقط بعض حبيبات التراب على بلاط المنزل . . إن هؤلاء الأمهات إنما يحولن الديكور الى شقاء ، ونقمة ، بدل أن يكون سعادة ونعمة لهن ولأبنائهن .

علينا أن نهتم بسعادة أبنائنا ، كما أن علينا أن نؤدبهم ، ونعلمهم ، ليهتموا بالمحافظة على النظام والديكور ، والممتلكات المنزلية الأخرى .

فليلعب الأطفال في الدار ، وليستفيدوا منه ، ولكن علينا أن نرسم لهم الحدود التي يجب أن لا يتجاوزوها في لعبهم .

الفصل السادس

لكي لا يفسد ما صنعت ؟

الأطفال أشبه ما يكونوا بنباتات صغيرة ، وشتـائل وليـدة ، فالشتلة في أيامها الأولى تموت بمجرد أن يداعبها طفل حالم بيـديه الـرخوتين ، ويتحـطم جشمها بقـدوم أول طليعة للرياح العاصفات .

والنبتة التي لم يقوى عودها بعد ، لا تستطيع الصمود والمقاومة في وجه المؤثرات الجوية والعوامل الطبيعية الأخرى .

فـلا يكفي ـ للمحـافـظة على النبـاتـات ـ أن تقـوم بسقيهـا وتغـذيتهـا بالسمادات بشكل جيد ، دون أن تمنع المراعي من الوصول إليها وإتلافها .

كـذلك الأمـر بالنسبـة الى أطفـالـك ، فـلا يكفي أن تؤدبهم بـأدبـك ، وتسقيهم من منـاهل أفكـارك ، ما لم تحـول بينهم وبين العوامـل المؤثرة التي تهجم عليهم من كل حدب وصوب .

فالطفل بمجرد أن يخرج الى المدرسة ، وينزل الى المجتمع ، ويجلس أمـام شاشـات التلفزيـون ويتعرف على قـراءة الكتب ، ويـطلع على الصحف والمجـلات ، ويصغي للمـذيـاع ، ويتحـدث مـع هـذا وذاك ، ويجلس هنـا وهنـاك . . فإنـه إنما يكـون قد دخـل في بحر لجي عميق الأغـوار ، فيه مـوج كالجبال .

ومهمة الأب ـ هنا ـ ليست الوقوف أمام الأبناء وصدهم عن الدخول في هذا البحر المواج ، إذ لا يمكن أبداً ، وإنما مهمته تتطلب أن يتقن لهم صناعة السفينة بشكل يطمئن به عليهم من عدم الهلاك .

وذلك يحتقق بالأمور التالية :

أولاً : القفز الى قلب الطفل قبل أن يحتله العدو .

تعد المبادرة الى تربية الأطفال ـ منذ وقت مبكر ـ من أحسن العوامل المساعدة للتربية الحميدة ، ذلك لأن الطفل في سنينه الأولى يشبه الورقة البيضاء التي لم تسوّد بحبر الأقلام بعد ، أو أنه يشبه الأرض الخالية القابلة لزرع كل شيء فيها ، مثلما يقول الإمام علي (ع) :

« قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته »

ولكي لا يسبقنا ـ أي أحد ـ الى زرع أعشابه الضارة على أرض أطفالنا ، لا بد أن نبادر نحن الى زرع أشجارنا المثمرة ، ونملأ كل الفراغ .

وفي هذا الصدد نجد الإمام علي (ع) يقول :

« بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة »

وبناء على ذلك فالمبادرة الى تربية الأطفال إنما تعني منذ نعومة أظفارهم وقبل بلوغهم السنوات الخمس ، وإلا لما سميت بمبادرة .

يقال : سألت ذات مرة ، إحدى السيدات ، مربياً مشهوراً : « ما هو الوقت المبكر الذي أستطيع أن أبدأ فيه بتعليم طفلي ؟

فسألها المربي بدوره قائلاً : « متى سيولد هذا الطفل ؟

فأجابت السيدة وهيْ تلهث : « يولد ! أنه الآن في الخامسة من عمره .

فصاح المربي : « ماذا تقولين أيتها السيدة ؟ لا تقفي هنا تتحدثين . . إسرعي الى البيت ، لقد ضاعت منك أحسن سنواته الخمس » .

* * *

ثانياً : إختر البيت كما تختار الفاكهة .

إن إختيار المكان الصالح للبيت الذي تريد أن تقطنه وأطفالك ، لا بد أن يكون إختياراً محسوباً وليس إختياراً عشوائياً ، وذلك تلافياً للنتائج غير المحمودة التي تترك أثرها على أبنائك من قبل أبناء الجيران من جهة ، وأجواء البيئة الإجتماعية من جهة أخرى .

إن عليك أن تركن الى التفكير والتدبر قليلاً قبل شرائك أو إستئجارك لأي بيت ، أن تفكر في محيط البيئة الإجتماعية لتلك المنطقة ، ثم انظر الى الأطفال الذين يلعبون في الأزقة أو الشوارع القريبة من البيت ، وتصور ان إبنك سوف يصبح صديقاً لهؤلاء الأطفال ، وانه ـ لا شك ـ سينضم الى هذه الشلة أو الى تلك المجموعة من الأورد .

فانظر . . هل ترتضيك أخلاق الناس هناك ؟ وهل تعجبك آداب الأطفال وسلوكياتهم ؟ فإذا كان مما يرضيك فاستوطن ، وإلا فلا ترمي بأطفالك في مستنقع الفساد ، وتذكر ـ دائماً ـ أن على الأب أن يشتري الفاكهة الطيبة والصالحة لأبنائه ، وليست كل فاكهة ـ ولو كانت فاسدة ـ هي المطلوبة .

وليكن في خلدك ـ أيضاً ـ ان شراء الجار قبل شراء الدار ، فإن الإمام علي (ع) يقول : « سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار » .

* * * *

ثالثاً : إفعل مثلما تفعل النحلة .

هل حدث لك ـ مرة ـ وشاهدت مفتشة النحل ، كيف تقف أمام بيوت النحل ، وتفتش كل نحلة تريد الدخول الى مجمع النحل ، هل رأيت انها كيف تطرد كل نحلة لم تستقي من رحيق الورد ، واستعاضت عنه بشيء آخر .

سواء كنت قد شاهدت ذلك أو سمعت به ، فالمقصود أن تلعب نفس دور مفتشة أو ملكة النحل بالنسبة الى أطفالك ، حينما يكونوا قد خرجوا الى ساحة المجتمع ، وخاضوا غماره ، والتقوا بروافده المختلفة .

آنئذ لا بد لك أن تفتش عن الآثار الفكرية العالقة بأذهانهم ، وتطرد الفاسد منها .

وتستطيع أن تكشف كل شيء ـ ببساطة ـ من خلال مفتاح السؤال والحديث معهم ، ومراقبة سلوكياتهم بشكل عادي لا يلفت نظرهم أو يسبب في إحراجهم .

وبهذه الطريقة يستطيع الأب أن يبعد الآثار السيئة عن أولاده وبناته ، ويخلق المناعة الدائمة لديهم .

* * *

رابعاً : إرسم لهم معالم الصراط المستقيم .

إذا كان الأب قد رسم لأبنائه طريق الحياة الذي يجب أن يسلكوه ، وبين لهم حدوده ومتطلبات المسير ، وكشف لهم عن موارد الإنحراف والضلالة في كل شيء . . آنئذ ليطمئن هذا الأب من ثباتهم ، وصمودهم أمام عوامل التأثير الفاسدة في المجتمع .

ولكن . . لينتظر الخسران كل من نسي أن يرسم الصراط المستقيم

لأبنائه ، ولم يبين لهم طريق النجاة من الهلكة في الدنيا والآخرة .

والصراط المستقيم ـ كما في القرآن الكريم ـ هو صراط الذين أنعمَ الله عليهم من النبيين والصالحين ، وهو غير طريق المغضوب عليهم ولا الضالين .

وبكلمة : فالصراط المستقيم الذي يجب أن تبينه لأبنائك ، وتدفعهم للسير عليه ، إنما هو طريق الإيمان والمؤمنين .

* * *

خامساً : إطلع على قراءاتهم ، ومشاهداتهم اليومية ، وبيّن لهم كيف يجتنبون السيء منها ، وينتفعون بنتائجها الحسنة .

فالتلفزيون والمذياع ، والصحف ، وكافة وسائل الإعلام ـ المقروءة منها والمسموعة ـ تعد اليوم من أكبر مصادر التأثير على الناس، وبالخصوص على الأحداث منهم .

فالطفل حينما يجلس وراء شاشة التلفاز ويشاهد الأفلام المتحركة ، إنما تجده وقد فتح أذنيه بالإضافة الى عينيه ، وغاص في المشاهدة بكل حواسه .

والخطورة التي تكمن هنا ان الحدث يحاول أن يطبق كل ما شاهده على نفسه ، ويقتدي برجال الفلم وحركاتهم وأقوالهم ، وسلوكياتهم .

والمشكلة أننا قلّما نجد أفلاماً صالحة ، تعرض على شاشات التلفزيون ، سواء للكبار أو للأطفال اليافعين .

بالإضافة الى بعض الجوانب السلبية الأخرى الناتجة من ولع الأطفال بجهاز التلفزيون ، وأهمها مسألة ضياع الوقت الكثير من أفضل أوقات حياة الإنسان ، ألا وهي سنوات الطفولة .

إن الآباء يستطيعون ـ بتوجيه أبنائهم الى هذه الملاحظة ـ أن يبلغوا بأبنائهم أفضل مدارج العلم والمعرفة ، ويوفروا عليهم فرصاً كثيرة تدر عليهم بالراحة والسعادة عند الكبر .

وكما بالنسبة الى أجهزة المشاهدة ، كذلك يجب أن تكون المسائل المقرؤة .

فالطفل الذي يقرأ الكتب المختارة والنافعة ، ويلقى تشجيعاً على قراءتها . . إن هذا الطفل سيجني نتائج حسنة كثيرة ، لم يحصل عليها أي طفل آخر لم يتم توجيهه من قبل والديه .

وبذلك يكون الأب قد أنقذ أبناءه من عوامل التأثير السيء في المجتمع ، بأحسن صورة وأفضل أسلوب .

إذن . . لا بد أن تعرف ماذا يقرأ إبنك وماذا يشاهد ؟ ، فلرب كتاب منحرف قاده الى الضلال والجحيم .

الفصل السابع

كيف تدفع أبناءك الى النجاح ؟

إذا كنت تريد أن يكون إبنك ذلك الإنسان ، الذي يشق دربه في الحياة بكل ثقة ، وعزم ، فيتغلب على الصعاب ، ويقهر الظروف ، ويتجاوز المشاكل ، وينطلق بقوة ، ويحقق أهدافه بفوز ، ويكون شخصية ناجحة في المستقبل . . نجد من الضروري الالتفات الى الوصايا التالية ـ كما بينتها بحوث العلماء وأكدتها تجارب الآباء أيضاً ـ :

١ ـ دعه يعتمد على نفسه !

إعلم أنه لا يمكن للطفل أن يعتمد على نفسه ، ما لم تجعله يثق بنفسه ، وقدراته أولاً . . ولا يكون ذلك إلا بالممارسة والتجربة ، وفي مختلف القضايا والمسائل ، سواء الصغيرة منها أو الكبيرة .

إن الطفل الذي يتعود على ترتيب غرفة نومه ، والمحافظة على وسائل لعبه والذهاب الى المدرسة لوحده ، والإعتماد على نفسه لحل بعض المشاكل ، ومواجهة الأمور ، وتذليل الصعاب التي تعترضه . . ان مثل هذا الطفل هو الذي يستطيع أن يكون قوي الشخصية وناجحاً في الأمور كلها .

ولسنا بحاجة ـ لتحقيق ذلك ـ أن ندخل أطفالنا في معاهد خاصة لتقوية

الثقة بالنفس والإعتماد عليها ، إذ يكفي أن ندع أطفالنا يواجهون الواقع ، دون أن يركنوا إلينا .

* * *

والمثال التالي عله يبيّن هذا بوضوح ، حيث يقول أحد الكتاب أنه زار عائلة متدينة ، وأثناء زيارته خرج طفل العائلة ليلعب مع زملائه ، فعاد باكياً شاكياً ، بأن لعبته نهبت منه ، فما كان من أمه إلا أن نصحته بالذهاب سريعاً لانقاذ لعبته ، وشجعته على أن يذهب شخصياً ويعالج المشكلة بأي طريق ، ويأتي باللعبة .

وفعلاً ذهب الولد ، وبعد فترة عاد ضاحكاً ، واللعبة في يده .

ثم يضيف الكاتب أنه بعد أشهر زار عائلة أخرى ، وتكرر أمام عينه نفس المنظر فقد نهبت لعبة طفل العائلة الأخيرة من قبل زملائته ، فعاد باكياً الى أمه ، فاحتضنته ، وبدأت تسب وتشتم في الجيران وأبنائهم ، وتهدىء الولد ووعدته بأن أباه سيأتي ويتعارك مع الجيران لإستنقاذ اللعبة ! »

إن الفرق واضح بين أسلوبي التربية ، فالأسلوب الأول يربي الطفل على الإعتماد على نفسه ، وبذل ما يملك من جهد لتجاوز ما يعترضه من مشاكل .

بينما الأسلوب الثاني يربي الطفل على التواكل ، والإعتماد على والديه ، وبالتالي الانهزام السريع أمام المشكلة ، والتباكي لدى الآخرين .

إن الآباء يجب أن يربوا أبناءهم على قوة الشخصية والإقدام ، وأن يتعود أطفالهم على مقارعة المشاكل ، ومواجهة التحديات ، وأن ينتبه الآباء والأمهات الى هذه الظاهرة في أبنائهم ، فلا يقبلوا منهم استخدام هذا

الأسلوب ، بل يشجعون أبناءهم ، لتفجير طاقاتهم وصقل شخصياتهم .

* * *

٢ ـ إسبغ التشجيع على أبنائك . . ولا تبخل .

لست أجد محفزاً للنجاح ، مثل التشجيع للناس سواء منهم الكبار أو الصغار ، والعلماء ، أو الجهال . . فالتشجيع مثل الزيت ، للماكنة ، والبنزين للطائرة ، فلولا التشجيع لما حلّق الكثيرون الى مدارج العلم والعظمة .

والحياة تزخر بالشواهد على ما أتى به التشجيع من نتائج عظيمة .

يقول أحد الخطباء المشهورين : « لا أتذكر أنني أخطأت في خطبة واحدة من خطاباتي ، ولا أتذكر أنني تلكأت ، أو تراجعت ، أو نسيت ما أريد ذكره ، ولا أتذكر أني تهيبت المنبر في أي يوم . .

والسبب في ذلك كله ما تلقيته من تشجيع ، وتقدير في المرة الأولى التي رقيت فيها المنبر . . وذلك قبل أربعين عاماً .

فقد حدث أن مجلساً إنعقد في بيتنا العائلي ، ودعي للمحاضرة فيه أحد الخطباء المعروفين ، إلا أنه تأخر عن الموعد المحدد ، وكنت أنا قد حفظت قصيدة شعرية ، فرقيت المنبر وبدأت أقرؤها ، بيتاً بيتاً ، وكان في المجلس أحد العلماء الكبار ، فكنت كلما قرأت بيتاً رفع رأسه وقال : أحسنت . . ولم أكن أتوقع في ذلك الوقت مثل هذا التشجيع ، فامتلأت ثقة بنفسي ، وانهيت القصيدة حتى تلقيت هذه الكلمة المشجعة لمرات عديدة .

والآن يمضي على ترك الحادثة أربعون عاماً ، وقد ألقيت خلالها آلاف المحاضرات ، وتلقيت عشرات الألوف من رسائل التشجيع ، وكلمات المديح ، ولكن كلمة « أحسنت » التي تلقيتها في المرة الأولى ، لا زالت

تقرع مسمعي وتعطيني الثقة ، وتدفعني الى المزيد من إلقاء المحاضرات » .

وكان هناك ثمة صبي يأمل أن يكون كاتباً ، ولكن بدا له أن الأقدار قد تحالفت ضده .

فهو لم يقض في المدرسة أكثر من أربع سنوات ، وما لبث أن زج بأبيه في السجن لعجزه عن تسديد ديونه ، وانتهى الصبي أخيراً الى عمل بسيط كانت مهمته فيه أن يلصق أوراق مطبوعة على زجاجات للطلاء : وكان يؤدي هذا العمل في مخزن مهجور تسرح فيه الفئران وتمرح ، وكان ينام الليل في غرفة على السطح مع صبيين آخرين ، وكان قليل الثقة في مقدرته على الكتابة ، وقد رفضت له القصة تلو القصة ، وأخيراً حل اليوم ، الذي ظن أنه لن يأتي ، يوم أن قبلت إحدى قصصه ، وصحيح أنه لم ينقد عنها فلساً واحداً ، ولكن الصحفي الذي قبل أن ينشر القصة في جريدته إمتدحه ، وأشاد بموهبته ، حتى أن الشاب جاشت عواطفه في ذلك اليوم ، وقد غير التشجيع والتقدير مجرى حياته كلها ، فأصبح من كبار المؤلفين فيما بعد » .

إن تشجيع الناس والأبناء ، ومدح ما فيهم من محاسن يعطيهم الأمل ، ويشيع فيهم السعادة ، فلماذا نبخل عليهم بذلك ، في الوقت الذي لا يكلفنا هذا الأمر ، غير تحريك اللسان لبضع ثوان ؟

* * *

٣ ـ إصنع منهم أشخاصاً حديديين !

إن الأب الناجح هو الذي يربي أبناءه على الإرادة الحديدية الصلبة .

والإرادة القوية ـ هذه ـ لن تحقق إلا عبر تقوية النفس ، وتعويدها على الخشونة والقوة ، روحياً وجسدياً .

من هنا نجد أن الطفل الذي ينحدر من عوائل تعيش الزهد والتقشف في حياتها ، يكون أصلب عوداً من أبناء المترفين ، وأقدر على مواجهة الصعاب .

وهناك عدة طرائق تساعد الأب على بناء الإرادة في شخص إبنه وأهمها :

الطريقة الأولى : عدم الإستجابة الفورية لكل طلباته ، بالإضافة الى عدم إعطائه كل شيء . . إذ لا بد من أن يتعود الطفل على التصبر ، والنفس الطويل .

ولهذا نجد أن الطفل المدلل ، الذي يتعود على تحقيق طلباته بمجرد أن ينطق بكلمة ، أن هذا الطفل لا يستطيع التجلد ، وبالتالي لا يظفر بالنجاح وتجده يستسلم أمام أي مشكلة مهما كانت بسيطة وحقيرة .

ولكي تعود أطفالك على النفس الطويل أتبع الوصية التالية : « إذا أردت أن تفعل شيئاً أو تشتري حاجة لأبنك تريث قليلاً ثم أقدم على ما تريد صنيعه » .

* *

الطريقة الثانية : عود أبناءك على صفات الصالحين ، مثل الزهد والصبر والحلم والصوم والصلاة .

يقول رسول الله (ص) : « مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً » .

فالصلاة بالإضافة الى أنها تعمق الإيمان في الوليد ، تعلمه على الإلتزام المنضبط ، وتصقل شخصيته ، وتقوي عوده .

والصوم في شهر رمضان ـ أيضاً تكـون له نتـائج عـظيمة في بنـاء الإرادة الصلبة .

*

الطريقة الثالثة : علم أولادك على المشاق .

كان هناك ـ في غـابر الـزمان ـ ثمـة معلم يقوم بتـدريس ثلة من الطلاب الصغار وكان هذا المعلم يجري دروسه يومياً خارج نـطاق الغرف والجـدران ، فيخرج بالأطفال ـ كل صباح ـ الى التلال والقفار ، حيث الثلوج المتراكمة في فصـل الشتاء ، والهـواء البارد الـذي يثلج أصابـع اليدين والـرجلين ، ويقضم بنسيمه القارس الآذان والأنوف .

وهكذا كان يمضي كل أيام الـدراسة ، دون مكتـرث بإستغـاثة الأطفـال وطلباتهم بالكف عن الخروج الى زمهرير الثلوج الباردة .

وتواكبت الأيام والشهـور ، حتى شب هؤلاء الأطفال وكبـروا ، وأصبحوا رجلاً في المجتمع ، وشاءت الأقدار حتى أصبح أحدهم رئيساً للبلاد ، يحكم بما يشاء ، ويأمر فيطاع .

وبعد وصولـه الى سدة الحكم أمـر فوراً بـإلقاء القبض على معلمـه أيام الصغـر ، وأودعه السجن إنتقـاماً منـه لما كـان يفعل في إخـراجهم الى الأماكن الثلجية الباردة أثناء الدروس .

ومضت الأيـام ، والمعلم يعيش رهن الإعتقال ، وتحت غضبـة الـرئيس الحـاكم ، حتى شاءت الأقدار، وهجم جيش من الأعداء على البـلاد ، فخرج الرئيس يقود كتائب المقاومة ويدير الصراع حتى استطـاع أن يرد كيـد الأعداء في معركة مصيرية خطرة وبالطبع كـان الفضل كله ـ في الإنتصـار ـ يرجـع الى

شخصية القائد الصلدة القوية ، التي كانت مثالا رائعا للمقاتيلين الذين تجلدوا في مقامة العدو برغم هطول الثلوج وقساوة الأجواء .

وحينما عاد الرئيس يقود كتائبه المنتصرة ، توجه فوراً ـ بموكبه ـ الى السجن وأطلق سراح معلمه بيده ، وأكرمه إكراماً عظيماً ، وأجله إجلالاً كبيراً ، لأنه عرف ـ حينئذ ـ الفائدة العظيمة لما كان يفعل المعلم بهم في أيام الدراسة ولولا تعوده على البرد ، وتحمله للثلوج ، لما كان بإستطاعته أن يكون المثل الأعلى لجنوده في الصبر والصمود والثبات والمقاومة ، ولولا ذلك لم يكن النصر حليفهم في أكثر الإحتمالات .

* * *

٤ ـ إزرع الروح الإيجابية في أبنائك .

النجاح في الحياة يعتمد على التفاؤل بالخير ، والتطلع الى الأمور بروح إيجابية دائماً ، كما أن الأخفاق مقرون باليأس والروح السلبية .

لذلك نجد أن الإسلام يحارب اليأس ، ويعتبره من صفات الكفار ، يقول القرآن الكريم :

﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ .

ويقول الحديث الشريف :

« تفاءلوا بالخير تجدوه » .

إن التفاؤل بالظفر ، والأمل بالإنتصار مسألة ضرورية لكل عمل ، يريد الإنسان أن ينجزه .

ولولا ومضة الأمل لماتت طموحات الناس كما تموت البذور إذا إنقطع عنها ماء السواقي وغيث السماء .

ومن هنا فالمطلوب من الآباء والأمهات أن يخلقوا من أبنائهم أناساً إيجابيين ، يقتحمون الحياة بنشاط مستمر ، يحدوهم الأمل بالله ، وبنصرته لعباده ، في أحلك الظروف وأشد الأيام .

وتسأل كيف ؟

والجواب : الأمر بسيط جداً ، ولا يحتاج سوى أن يتصرف الوالدان مع الأمور بروح إيجابية ، وأن يحافظا ـ دوماً ـ على أن يكونا متفائلين في مواجهة الأمور والمشاكل ، والصعاب ، التي تعترض حياتهم اليومية .

وبكلمة : ان الآباء الإيجابيين هم الذين يخلقون الأبناء الإيجابيين ، فإذا ما أردت أن يكون إبنك إيجابياً ، عليك إلا أن تكون رجلاً إيجابياً .

* * *

٥ ـ أخلق الهمة العالية في نفوسهم .

ذات يوم سأل أحد العلماء الكبار إبنه قائلاً :

ـ يا بني ! ماذا تريد أن تصبح ؟

أجاب الإبن :

ـ مثلك يا أبتي .

فقال له والده :

ـ إنك لن تبلغ ذلك .

ثم أضاف قائلاً :

ـ لقد هممت أنا أن أكون مثل الإمام علي (ع) ، فوصلت الى ما وصلت إليه . . فكيف بمن يريد أن يكون مثلي . . لا شك أنه لا يصل الى درجتي .

لذلك يقول الإمام علي (ع) :

« خير الهمم أعلاها »[1] .

ويقول الإمام (ع) أيضاً :

« قدر الرجل على قدر همته »[2] .

لكي تكشف جوهر الرجال وتعرف القيمة التي تفرزهم ، وتجعلهم في درجات العظماء ، أنظر الى هممهم ، وتطلع الى أهدافهم ، وانظر هل يتحلون بالهمة العالية أم لا ؟ فإذا ما كانوا يحملون الهمة العالية فهم الرجال العظام ، وأما إذا لم يكونوا ذا همة سامية ، فهم أناس لا وزن لهم ولا قيمة .

والهمة العالية سواء للدنيا أو للآخرة . . فمن أراد أن يكون ملياردير أصبح مليونيراً ، ومن أراد أن يكتفي بالخبز والتمر ، وينام على حرير الإنجازات البسيطة ، فلن يكون إلا من أصحاب الطبقة المحرومة في الدنيا . . وهكذا الحال بالنسبة للآخرة . . فمن أراد أن يكون بهمته جاراً للأنبياء والشهداء والصالحين في الجنة ، فإنه لا شك سيصل الى مرامه أو دونها بقليل .

---

(١) غرر الحكم .

(٢) بحار الأنوار ج٧٠/ص٤ .

إن الأمة والفرد إذا لم يكونوا يحملون هموم بناء البلاد ، وإقامة المشاريع ، وتحقيق الحضارة ، فلن يكون حالهم ومصيرهم بأفضل من الحيوانات ، التي تعيش وكل همها ، إشباع غرائزها .

يقول الإمام علي (ع) :

« من كانت همته بطنه ، قيمته ما يخرج منه » ![1]

إن من الناس من يهتم بحدود نفسه وبيته ، ويكتفي من العلم بالألف باء ، ومنهم من يحاول أن يستفيد من كل طاقاته ، ويحمل هم إنقاذ أمته والأمم الأخرى ، بل ويريد إنقاذ الأجيال القادمة ـ أيضاً ـ فيكتب لها ، ويتحدث لها .

ومن هنا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ، وأن العالم أفضل من سبعين ألف عابد ، ذلك لأن همّ العابد لا يتجاوز حدود نفسه ، فهو يتعبد لانقاذ نفسه فقط ، بينما العالم يسعى لانقاذ الأمة من حضيض الجهل والتخلف ، ويحررها من الأغلال والعبودية .

لا بد أن تحمل أنت ويحمل إبنك ـ أيضاً ـ همّ الإنجازات العظيمة ، والضخمة ، إذ لا حياة لمن يموت كما ولد ، ولم يكن قد رسم خطاً على صفحات التاريخ طوال أيام عمره .

إن هناك من الناس من يأتي الى الدنيا ويغير لونها، بينما هناك من يأتي الى الدنيا وهو لم يغير حتى لون غرفته ، ولون محيطة العائلي .

لقد زود الله الإنسان بطاقات مادية هائلة في جسمه ، كما زوده ـ أيضاً ـ

---

(١) غرر الحكم.

بطاقات روحية ضخمة ، فكان بإستطاعة الإنسان آن يهز التاريخ كله ، وله القدرة على أن يحرك شعبا كاملا لمجرد أن يحرك شفتيه وهو جالس على بعد آلاف الأميال .

وتكبر قدرة الإنسان حينما يبلغ الدرجة التي يخاطبه الله فيها ، ويقول الحديث القدسي :

« عبدي إطعني تكن مثلي . . أقول للشيء كن فيكون ، وتقول للشيء كن فيكون » !

ولكن الواقع أن الإنسان قد أهمل طاقاته ، وأهمل نفسه العظيمة ، فاكتفى من دنياه بالإنجازات البسيطة ، ومن آخرته بالعمل القليل .

ومن هنا يجب أن لا تكون همم أبناءنا مقصورة على قرى معينة ، وبلاد صغيرة . . ترى فما هو المانع الذي لا يجعلنا ندعهم يفكرون بكل الأصقاع . . أو ليست الأرض جميعاً لله ، والإنسان المسلم إنما هو خليفة الله (تعالى) على أرضه ؟

إن الأطفال الذين يولدون ، وهم لا يعرفون موقع أنفهم من موقع فمهم ، ولا يعرفون كيفية الأكل والمشي ، والكلام ، بإستطاعتهم أن يكونوا ذلك الإنسان القادر على صناعة المركبة الفضائية « أبولو » التي غزت القمر ، بل وإن يكونوا أقدر وأعظم .

كما أن بإستطاعتهم أن يكونوا معلمي البشرية ، فيحركوا الأمة والأجيال القادمة ، بمبادئهم، ومواقفهم وبطولاتهم العظيمة ، وذلك بما أودع الله (تعالى) فيهم القدرات والطاقات الهائلة ، والتي لا تقف عند حدود .

ولهذا نجد أن الإمام الحسن (ع) دعى بنيه وبني أخيه وقال لهم :

« إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين ، فتعلموا العلم ، فمن لم يستطيع منكم أن يحفظه ، فليكتبه ، وليضعه في بيته »[1] .

وهكذا يشحذ الإمام الحسن بن علي (ع) همم الأبناء ، ويُعدّهم لتحمل المسؤوليات الجسام في المستقبل .

هذا وان أكبر وأعلى همة يجب أن نزرعها في أبنائنا هي همة الفوز بالآخرة .

ولقد جاء عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال : « بكى أبو ذر من خشية الله ـ عزّ وجل ـ حتى إشتكى بصره ، فقيل له :

ـ يا أبا ذر ! لو دعوت الله أن يشفي بصرك .

فقال : أني لمشغول وما هو أكبر همي !

قالوا :

ـ وما يشغلك عنه ؟

قال : العظيمتان : الجنة والنار ! !

(١) بحار الأنوار ج١ / ص١١٠ .

الجزء السابع

كيف تبني الطفولة الصالحة ؟

يقول الإمام علي (ع) :

« ما سألت ربي أولاداً نضر الوجه . .

« ولا سألته ولداً حسن القامة . .

« ولكن . . سألت ربي أولاداً مطيعين لله ، وجلين منه . .

« حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله . .

« قرت عيني » .

الفصل الأول

المطلوب : أبناء صالحين .

كان لا بد للإنسان أن يكون صالحاً ، وإلا فليس أمامه من خيار غير أن يكون مثل الحيوان أو أضل منه .

كيف يكون ذلك ؟

تعالوا نرى ما هو الحيوان ؟ وهل يختلف عن الإنسان ؟

الجواب :

إن الحيوان قد يكون أقوى من الإنسان جسدياً . فليس الإنسان أقوى من الفيل والأسد والحيوانات الكاسرة ذات القوة الحديدية . كما أنه ليس أجمل من الطاووس ، ولا أطول من الزرافة !

وإذا كان للإنسان عينان فقط ، فإن للذبابة بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ عين .

وإذا كانت قدرة الرؤية في الإنسان ، هي قدرة محدودة بإتجاه واحد ، فإن قدرة الرؤية في الذبابة تشمل كل الإتجاهات .

وتستطيع الذبابة أن تطير بسرعة ثمانين كيلو متراً في الساعة ، وإذا أخذنا بعين الإعتبار طولها الذي لا يتعدى السنتيمتر الواحد ، فهذا يعني أن

للذبابة القدرة على السرعة ٧ ملايين مرة أكثر من حجمها ، أي أنها في السرعة أقوى من الصاروخ .

وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن ينجب أكثر من ٤ أولاد أو ٧ على الأكثر في كل عام ، فإن ذبابتين ـ إنثى وذكر ـ تستطيعان أن تنجبا الملايين فيما إذا كانت الظروف ملائمة ، ويقدر العلماء : أن ذبابتين ، يمكنها أن تنجبا خلال عام واحد ـ عن طريق التكاثر ـ بمقدار ما تغطى به الكرة الأرضية كلها بإرتفاع ١٥ متراً مع العلم أن أقصى عمر للذبابة هو أربعون يوماً فقط .

والخفاش الليلي حينما يحلق في الفضاء ، فأنه يستخدم حاسته كما يستخدم الإنسان اليوم جهاز الرادار .

وهناك بعض الحيوانات تسمع الأصوات ذات الذبذبات العالية والمنخفضة دون أن يستطيع الإنسان سماعها .

وهناك الكثير من الحيوانات التي تستطيع أن تتنبأ بحدوث الزلازل قبل وقوعها ، حتى ان الإنسان اليوم لجأ الى الإستفادة منها لمعرفة مواقيت الزلازل وأماكنها .

والكتكوت الصغير يخرج رأسه من البيضة وهو يفتش عن « الحب » ويعرف أي « حب » ينفعه وأي « حب » يضره ، ويعرف الجوع والعطش ، ويفهم كيف يمشي ، وكيف يأكل وكيف يلعب .

بينما طفل الإنسان يولد وهو يجهل كل شيء وتمر شهور قبل أن يعرف موقع فمه من موقع أنفه وإذا تركته قبل أن تعلمه قضية طعامه وشرابه ، فهو قد يأكل الجيفة ويشرب الماء الآسن .

إذن . . فما هو الفرق بين الإنسان والحيوان ؟

لا فرق بين الإنسان والحيوان إذا ما كان الإنسان كالحيوان . . يمشي ليجد طعاماً يأكله . . ويأكل ليمشي ، ويمشي ويمشي ، ثم ينام ويجلس وهكذا دواليك .

بل ـ وأحياناً ـ يكون الحيوان أفضل من الإنسان الذي إتخذ إلهه هواه ، يقول الله عز وجل في القرآن الحكيم : ﴿**أرأيت من إتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلاً ، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً**﴾(1) .

إن الإنسان الذي يأتي الى الحياة الدنيا ، ولا يكون شغله فيها إلا تحويل الطيبات الى خبائث ، فقط وفقط ، إن هذا الإنسان لن يكون بأفضل من تلك البقرة التي تدر الحليب واللبن ، ثم ـ بعد ذلك ـ تقدم جسدها لحماً طرياً ليأكله الناس .

نعم . . الإنسان أفضل من الحيوان ـ وبدرجة لا تقاس ـ إذا ما كان الإنسان صالحاً في هذه الحياة الدنيا .

والإنسان الصالح ـ يختلف عن الإنسان السيء باختلاف أهدافه ووظيفته في الحياة ، فهو جاء للحياة من أجل الصلاح والعمل الصالح .

ولذلك قال الله (عز وجل) مخاطباً أصحاب الرسالات :

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً » .

فلا إشكال من أكل الطيبات ، لكسب القوة والنشاط . . ليس للخلود الى مزيد من النوم والراحة ـ كما تفعله الحيوانات ـ وإنما من أجل مزيد من التحرك والعمل الصالح .

ومن هنا فليس من الصحيح أن ننجب أبناءاً لكي يأكلوا جيداً ويمشوا

---

(1) سورة الفرقان آية ٤٣ .

جيداً ويناموا جيداً ثم يموتوا كما تموت الثعالب والديدان .

وإنمـا المطلوب ـ منّا أن ننشيء أبناءاً صـالحين رسـاليين يعملون على تحقيق أهداف الله (عز وجل) ورسله في الحياة .

وما أعظم من أن يكون إبنك صالحاً !

إنها درجة عالية ، وعالية جداً أن يكون الإنسان كذلك .

حتى الأنبياء كانوا يطلبون من الله (تعالى) أن يلحقهم بالصالحين .

يقول النبي إبراهيم (ع) في دعائه :

« ربي هب لي حكماً والحقني بالصالحين »

ويقول النبي سليمان ـ كما جاء في القرآن الكريم : ـ

﴿وقال ربي أوزعني أن أشكر نعمتـك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾[١] .

وكما يقول الله (عـزّ وجلّ) فـإن أفضل النـاس جميعاً هم أُولئـك المؤمنون العاملون بالصالحات :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾[٢] .

ويقول (عز وجل) :

﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾[٣] .

ونحن نقرأ الدعاء ـ المروي عن الإمام السجاد (ع) ـ ونقول :

« اللهم حبب إلي لقاءك ، واجعل لي في لقائك خير الرحمة والبركة . .

« والحقني بالصالحين ، ولا تخزني مع الأشرار . .

---

(١) سورة النمل آية ١٩ .

(٢) سورة البينة آية ٧ .

(٣) سورة لقمان آية ٨ .

« والحقني بصالح من مضى . .
« واجعلني مع صالح من بقي . .
« وخذ بي سبيل الصالحين . .
« واعني على نفسي بما تعين به الصالحين على أنفسهم » .

ولذلك يقول رسول الله (ص) :

« الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة »

ويقول الإمام الصادق (ع) : « ميزان الله من عبده المؤمن ولد صالح يستغفر له » .

* * *

والسؤال الآن : كيف ننشىء الأبناء الصالحين ؟

ومن هو الإنسان الصالح قبل ذلك ؟

الجواب :

الإنسان الصالح ـ حسب التعريف القرآني ـ هو الإنسان الذي يحقق في نفسه الشرطين التاليين :

الأول : « الإيمان » .

الثاني : « العمل الصالح » .

يقول الآ عز وجل :

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . لندخلنهم في الصالحين﴾(١) .

ويقول (تعالى) :

---

(١) سورة العنكبوت آية ٩ .

﴿والعصر . . إن الإنسان لفي خسر !

﴿إلا الذين آمنوا .

﴿وعملوا الصالحات .

﴿وتواصوا بالحق .

﴿وتواصوا بالصبر ﴾ .

فكل إنسان خاسر في صفقة الحياة ، لو لم يكن مؤمناً ويعمل الصالحات .

والإيمان ـ في نظر الإسلام ـ إلتزام فكري بين الإنسان وبين الله ، وهو وسيلة من أجل بناء المجتمع الصالح السعيد الذي تنبع مقاييسه جميعاً من مثله العليا .

والإلتزام الفكري هذا يسمى بالعقيدة ، والتي تعني :

أ ـ « الإعتقاد بصانع حكيم مدبر ، خلق الكون وجعل له هذا النظام الدقيق .

ب ـ « الإعتقاد بعدالة هذا الصانع الحكيم ، وعدالة الكون » .

ج ـ « الإعتقاد بنزول الوحي من قبل الصانع على بعض الأفراد .

د ـ « الإعتقاد برسالة نبي الإسلام .

ولكن هذه العقيدة ليست سوى « أرضية » الإسلام أما البناء على هذه الأرضية فهو « العمل الصالح »

من هنا فأنا نجد إنْ مادة « آمن » لا ترد في القرآن ألا وهي مقرونة غالباً

بـ « وعملوا الصالحات » مثل الآيات التاليات :

﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾(١) .

﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾(٢) .

وتكن . . كيف يصنع الإيمان الإنسان الصالح ؟ أليس العلم والتطور كافياً عن ذلك ؟

يقول أحد المؤلفين الكبار : « إن الآباء الذين يهتمون إهتماماً جنونياً بتربية أطفالهم العلمية ، ولا يهتمون بأي شكل من الأشكال بتربيتهم الدينية إنما يهدمون كيانهم أولاً ، ويهدمون كيان المجتمع ثانياً .

إن العلم عند الإنسان إنّما هو (آلة) قد يستعمل في خير أبويه وخير أمته وقد يستعملها في نسف أبويه ونسف أمّته .

الشيء الوحيد الذي يمنع صاحب (الآلة) ـ أي آلة كانت ـ من إستعمالها في الشر هو الوجدان الديني الذي يتحول ـ إذا إستمرت الحياة عليه ـ الى (بليس داخلي) يقف في وجه صاحبه بمجرد التفكير بالشر .

وعلى الآباء الذين يريدون السعادة لحياة أولادهم أن يهدفوا الى إعطاء الأولاد قسطاً من العلم وقسطاً من الدين حتى لا يتحول هؤلاء أعداء للآباء والأمهات . كما تحول شباب أميركا وأوربا .

ففي أوربا كثيراً ما يشاهد الإنسان أن الإبن يحاول أن يضر الأب لماذا ؟ لأنه يشعر بالإستقلال الكامل عنه ، ولا يجد أي دافع الى إحترامه أو تقدير خدماته السابقة .

إن الفرد العالم المتدين يمكن أن يكون ترسانة للمجتمع لأنه يعرف ما

---

(١) سورة البقرة اية ٦٢ .

(٢) سورة الكهف آية ٨٨ .

يريد من الحياة ، ويعرف ما تريده منه . أما العالم بلا دين فهو يعرف الحياة ولكنه لا يعرف ما تريده منه .

والذي يريد لطفله السعادة فعليه أن يعوده على فهم الدين والعلم معاً » .

*

والمثال التالي يبين لنا ـ بوضوح ـ الأضرار الناجمة من جراء الإبتعاد عن الدين :

لقد حدث أن أحد الأطفال إتفق مع رفاقه في باريس على تنظيم عملية يجري فيها إختطافه ليكره أباه بعد ذلك على دفع مبالغ طائلة إزاء الإفراج عنه .

وهكذا إحتجزه رفاقه ، واتصلوا بوالده عن طريق الهاتف واعلنوا أنهم المسؤولون عن إختطاف إبنه البالغ من العمر ١٢ عاماً ، وأنهم لن يفرجوا عنه ما لم يدفع مبلغ مائة ألف فرنك فرنسي .

واضطر الأب الى دفع المبلغ ، فذهب الطفل ـ بعد الإفراج عنه ـ مع بقية رفاق القضية يبددون الأموال في الملاهي والبارات . ومثال آخر كتبته إحدى الصحف العربية تقول :

إطلق على أبيه أربع رصاصات . . ثم هشم رأسه بمؤخرة البندقية .

حدث هذا أمام شقيقة المتهم الكبرى ، واكن سبب الجريمة حديقة موالح مملوكة للأب القتيل . . أراد الابن القاتل أن يستأثر بها ويحرم أخوته .

قضت محكمة الجنايات بالإعدام شنأً على الإبن القاتل .

وترجع ظروف الحادث الى يوم كان الأب ـ البالغ من العمر ستين عاماً ـ يجلس في حديقة الموالح التي يمتلكها وبجواره إبنته ـ البالغة من العمر ٣٠

عاماً ـ يتحدثان في شؤون زراعتهم عندما فوجئا بالإبن ـ يخرج عليهما من حقل مجاور ومعه بندقية سريعة الطلقات . ووجه فوهة البندقية الى صدر أبيه . . ذهلت شقيقته في الوقت الذي حاول الأب الهرب من الموت ولكن الإبن تعقب أباه وأطلق عليه أربع رصاصات أصابته في صدره وبطنه فسقط على الأرض . ولم يكتف المتهم بهذا ، بل إنهال على رأس والده بمؤخرة البندقية حتى هشمها . . وأمام هذا المنظر المخيف هربت الأخت وأسرعت الى مركز الشرطة تبلغه بخبر مصرع والدها .

*

وهذا ما يفعله كل إنسان غير مؤمن بالله واليوم الآخر .

ويومياً نقرأ عشرات الحوادث التي يرتكبها الذين لا إيمان لهم ، من أجل المادة ، ولذاتها . . فبعضهم يبيع بناته ، وبعضهم يتاجر بزوجته ، والآخر يقتل أباه ، والرابع يمارس الجنس مع أمه وكل ذلك نابع من الفراغ من الإيمان . .

فالذي لا إيمان له لا وجدان له .

والذي لا إيمان له ، لا عهد له .

والذي لا إيمان له ، لا وفاء له .

فلو إفترضنا أن رجلاً لا يؤمن بالله ، واليوم االآخر ، وبدل ذلك يؤمن بالدنيا ـ خلقاً وخالقاً ـ ويؤمن بلذاتها حسب ما يقول المثل المادي :

« هنا كل لذة . أما بعد ذلك فلن تجد سوى الموت » ! !

إن هذا بالطبع لن يتردد عن إرتكاب أكبر جريمة من أجل مغنم مادي ، مهما كانت الجريمة كبيرة ، ومهما كان المغنم بسيطاً . .

ولا غرابة في ذلك . . ترى ما هو الرادع الذي يردع الذين لا إيمان لهم ؟ !

هل لديهم رادع الخوف من الله ؟

وهل يؤمنون بيوم الحساب ؟

لا . . ليس لديهم أي رادع لولا وجود الشرطة ، وفي المكان الذي يخلوا من « البوليس » تجدهم لا يتورعون عن إرتكاب أي جريمة .

بينما الذين يؤمنون بالله ـ الإيمان المقرون بالعمل الصالح ـ هؤلاء يمتلكون « الوازع الداخلي » ويسمى بـ « التقوى » أي الخوف من الله ـ عز وجل ـ الذي يراهم في السر والعلن ، وحين يصبحون ويمسون .

أتريد شاهداً على ذلك ؟

هناك قصة ذلك الفتى الذي دفعه الإيمان للوفاء بعهده ، في وقت كان ذلك يكلفه حياته . . وإليك تفصيلها :

حدث مرة أن النعمان بن منذر أحد ملوك العرب ، قام برحلة صيد الى الصحراء ومن بعيد تراءى له صيد سمين ، فاستهواه وتعقبه وفيما إنشغل بتعقيبه ضيع الطريق وتاه في الصحراء وحاول ـ عبثاً ـ الحصول على علامة توصله الى المدينة ، أو على الأقل الى جماعته ، ولكنه أخفق وبمرور الوقت هبط الليل ، ففقد الأمل بالعثور على الطريق فعاد يسوق الفرس بلا هدف ، ومن دون إتجاه . . .

ومن بعيد تراءت له خيمة متواضعة كأنها رملة سوداء تغطي وجه الصحراء فأسرع إليها بعد أن مزقه العطش والجوع ، لعله يجد فيها ما يروي عليله ، أو يسعفه من الجوع .

ولدى الإقتراب إليها ، رأى إمرأة عجوزاً ، تخرج اليه مرحبة ، فبادرها قائلاً :

ـ أماه ، أنا جائع هل لديك طعاماً ؟

فأجابته :

ـ على الرحب والسعة . أنزل بارك الله فيك . إن الضيف ينزل برزقه ويذهب بذنوب أهل الدار .

وقبل أن يدخل الخيمة طالبها بالماء فسقته من كوز بارد ثم أدخلته الخيمة وبدا النعمان يعرفها بنفسه قائلاً :

ـ أنا صياد من أهل المدينة إنقطع بي الطريق وضيعت ، والآن أطلب منك طعاماً .

فرحبت به ، وأخبرته أن إبنها الأكبر سيأتي بعد حين وأنه سيتولى ذبح التيس الوحيد الذي تمتلكه لتقدمه عشاء له . .

وبينما كان النعمان والعجوز ينتظران عودة إبنهما الأكبر وإذا بفارس معه جمل بلا راكب طرق باب الخيمة ، وصاح بمن فيها : إلا وإن ولدكم قد مات . وهذا جمله أخذته إليكم .

وظهر أن إبنها الأكبر قد سقط في البئر ومات ، ولكن العجوز لم تقل شيئاً ، إنما فقط طلبت من الراكب أن يتعاون معها في ذبح التيس لتصنع منه طعاماً لضيفها .

وبعد لحظات كان كل شيء مهيئاً : الطعام ، والماء والفراش .

ولما أصبح الصباح ، وعزم النعمان على المسير دلته العجوز الطريق ، أعطته زاداً للطريق ، وودعته خير وداع .

وفي اللحظة الأخيرة أخبرها النعمان أنه سلطان البلاد وأن بإستطاعتها أن

تزوره في بلاطه ليرد عليها جميلها . .

فمضت الأيام ، وشب إبن العجوزة الأصغر ، ومرت المنطقة بفترة قحط وجدب ، وأشرفت العجوزة على الهلاك ، فطلبت إبنها وذكرت له قصة تلك الليلة التي أنقذت فيها السلطان من الجوع والعطش والموت ، وطلبت منه أن يذهب الى بلاطه ، ويطالبه برد الجميل لعلهما ينقذان نفسيهما من الهلاك .

فشد الولد الرحال ، وقصد بلاط النعمان ، والأمل الحريري يمشي قدامه ، وينسج له ألف صورة ، وصورة .

أليس يذهب الى السلطان ؟ وأليس هذا السلطان قد قضى ليلة ممتعة في خيمة أمه ؟ إذن فلا بد أن يكون في جميله ما يكفيهم لعام كامل . .

هكذا فكر الفتى وهو يقترب الى المدينة .

ولدى بوابة المدينة رأى جمهرة من الناس ينتظرون السلطان فإزداد فرحاً ، إذ أصبح بإستطاعته أن يلتقي بالسلطان بلا إنتظار لدى البلاط .

ومن بعيد تراءى موكبه . فلم يستطع الشاب أن يملك نفسه فانطلق نحوه وهو يصيح :

« أيها السلطان أنا إبن العجوزة التي آوتك في خيمتها جئتك لتنقذنا . . » .

ولدى الإقتراب من فرس السلطان إنهال عليه الجلاوزة وأمسكوه وحملوه الى النعمان . . فتأوه النعمان وتأسف ، لأن الشاب دخل عليه في وقت غير مناسب جداً . . ذلك أن النعمان كانت له حبيبتان جميلتان ، ماتتا في ليلة واحدة ، فحلف أن يعتبر يوم موتهما يوم الحزن الأكبر « وأن يخرج الى قبرهما ، ويقتل في الطريق أول من يلقاه . .

ومن سوء حظ الشاب ، أنه إلتقى بالسلطان في ذات الوقت الذي كان يذهب الى قبر حبيبته وكان أول من إلتقى به . .

وهكذا حلت عليه اللعنة !

فقد قال له النعمان :

ـ يا ولدي . . بئس الوقت الذي أتيت فيه . . إنني لا أنسى جميل أمك ، فقد آوتني وأنا ضائع . وأطعمتني وأنا جائع . وأروتني وأنا عطشان ، ودلتني على الطريق ولكن لا أستطيع أن أتركك الآن لأن سابق لا أخالفه ولا بد أن أقتلك .

غير إني مستعد لتقديم ما تريد . . كل شيء أضعه تحت تصرفك ، ولكن لا بد من قتلك . . هذا ما لا يمكن التنازل عنه . هذا من حظك الأسود .

فارتبك الشاب وقال :

ـ وماذا تنفعني كل عطاياك إذا كان لا بد من قتلي ؟

ثم قال الشاب أيضاً ـ : أيها السلطان لقد جئناك لترد علينا جميلنا . والآن فاجعل جميلك علي أن تتركني لشأني .

فقال النعمان ـ : لا يمكن لا بد من قتلك !

فعرف الشاب أن السلطان مصمم على قتله فقال له :

ـ إذا كان ولا بد ، فاسمح لي أن أرجع الى أمي فقد تركتها منذ خمسة عشر يوماً في الصحراء لا ماء عندها ولا طعام ودعني أستخبر عنها ، وأودعها ، ولك عندي عهد بالعودة على رأس الشهر .

فقال النعمان :

ـ هل لديك ضامن ؟

قال الشاب ـ : لا أعرف هنا أحد ولكنني صادق في وعدي .

قال النعمان ـ : هذا لا يكفي . .

فبدا الشاب ينظر الى الجمع المحتشد ، فرأى رجلاً ، تبدوا عليه آثار الصلاح ، ينظر إليه بعطف ، فتقدم إليه قائلاً :

ـ هل يمكنك أن تضمنني ، حتى أذهب الى أمي ، وأعود .

فرق له قلب الرجل وضمنه .

وقبل أن يبدأ الشاب رحلة العودة الى أمه أعلن السلطان أنه سيقتل الضامن إذا لم يعد الشاب في رأس الشهر . .

وترقبوا . .

ومرت الأيام . . ولم يظهر أي أثر للشاب . . كان اليأس يمزق الضامن . . وكانت الساعات تمر عليه وكأنها القرون .

وفي اليوم المحدد، جمع النعمان حاشيته ، وذهب بهم الى قبر عشيقتيه، وأمر بإحضار الضامن . وانتظروا حتى الظهر فلم يظهر أي أثر للشاب . . أراد النعمان أن يقتل الضامن بدلاً عنه فاستمهله الوزراء ، على أساس أن التحديد يعني الإنتظار الى المغرب . .

إنتهى العصر . . كانت الشمس تميل الى الغروب . . وكانت شحنات الأمل تتبدد أمام عيني الضامن الذي كان يتطلع الى الصحراء في يأس . .

وفيما كان السلطان يأمر الجلاوزة أن يفرشوا النطع ويقيدوا الضامن ، ظهر من بعيد شبح إنسان قادم من الصحراء على عجل . .

فأمر النعمان ، أن ينتظر السياف . .

ومع إقتراب الشبح تبين أنه هو الشاب . . كان يلهث من الركض ، وعليه آثار الإرهاق الشديد . .

وعندما وقف أمام النعمان قال له :

ـ . . الآن نفذ في حلفك ، فقد ودعت أمي !

فاندهش النعمان من وفاء الشاب ، فقال له :

ـ عجيب أمرك . فقد جئتنا تطلب الدنيا ، فأردناك للموت وفررت بنفسك فلماذا أتيت إليه برجليك ؟

فضحك الشاب وقال :

ـ ان إيماني هو الذي دفعني الى ذلك . وأضاف :

ـ إن إيماني يخبرني « ان من لا وفاء له لا دين له » .

فاطرق النعمان برأسه ، وخاطب ضميره : إذا كان إيمان هذا الشاب يدفعه للمثول أمام الموت ، فلماذا أكون عاجزاً عن رفعه عنه ؟

وهكذا قرر أن يكون يوم حزنه الأكبر الى يوم عيد . . ودقت الأجراس . وأكرم الشاب إكراماً عجيباً .

* * *

ترى : في غياب الإيمان هل يمكن أن نتصور نفسية كنفسية هذا الشاب ؟

وهكذا هم الذين يحملون بين ضلوعهم الإيمان ، فإن كل تصرفاتهم

تصبح إيمانية جميلة ومهذبة وإنسانية .

ذلك لأن الإيمان هو الخضوع لله ، والهدف من الخضوع لله هـو العمل والسلوك الصالح .

ولهذا فإن القرآن يعتبر الذي لا يتقيد سلوكياً بإرشـادات السماء ، فيـدع اليتيم ، ولا يحصي على طعام المسكين ، يعتبره مكذباً بالدين فيقول :

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين ؟

﴿فذلك الذي يدع اليتيم !

﴿ولا يحض على طعام المسكين !

ويقول القرآن :

﴿ولا تصعـر خـدك للنـاس . ولا تمش في الأرض مـرحـاً . إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[1] .

ويقول : **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً . . .**

﴿والـذين إذا أنفقوا لم يسـرفوا ولم يقتـروا وكان بين ذلـك قـوامـاً . . والذين لا يشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراماً . . . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾[2]

ويقول : **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾**[3] .

إن النتيجة العملية هي المهدوفة من الإيمـان ، ولذلـك أصبحت علامـة

(١) سورة لقمان آية ١٨ .
(٢) سورة الفرقان اية ٧٤ .
(٣) سورة القصص آية ٨٣ .

الإيمان مواقف الإنسان العملية وسلوكه الأخلاقي .

يقول الإمام علي (ع) :

« علامة الإيمان : أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ، وأن لا يكون في حديثك فصل عن عملك ، وأن تتقي الله في حديث غيرك » .

وسئل الرسول الأعظم (ص) ـ : بم يعرف المؤمن ؟

فأجاب ـ : بوقاره ، ولين كلامه ، وصدق حديثه .

وسئل ـ : أي المؤمنين أفضلهم إيماناً ؟

فأجاب أفضلهم خلقا .

المؤمن الحقيقي هو الذي تعرفه بأعماله ومواقفه ، كما قال الرسول الأعظم (ص) :

« إن المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب .

ولا يضيع ما إستودع .

ولا يحسد . ولا يطعن . ولا يلعن .

ويعرف بالحق وإن لم يشهد عليه .

ولا يتنابز بالألقاب .

في الصلاة متخشع الى الزكاة مسرع .

في الزلازل وقور .

في الرخاء شكور . قانع بالذي له .

لا يدعي ما ليس له . ولا يغلبه الشح عن معروف يريده .

يخالط الناس كي يعلم .

ويناطق الناس كي يفهم .

إن المؤمن يأخذ بأدب الله »

*

إن المطلوب : أبناء يلتزمون بروابط الإسلام في علاقاتهم مع أنفسهم ومع الناس ومع الأحياء .

المطلوب : أبناء مناقبيون ينبذون القيم الجاهلية التي تحكم دنيا اليوم ينبذون التعالي وسوء الظن وبإختيار أجمل الألفاظ وأحسن التعامل .

المطلوب : أبناء لا يسمحون لأنفسهم الهبوط الى مستوى عبادة الراحة والتعالي واللمز والغمز بالآخرين .

المطلوب : أبناء صالحين ينبع قولهم من عملهم ويكونون رمزاً لجمال الدين في كل شيء .

أو ليس الدين تربية قبل أن يكون تعليماً !

الدين يزكي النفس أولاً ، ويصفيها من أقذار الشهوة والطمع والحسد ، وكل المساوىء .

والإنسان لن يكون « مؤمناً » حتى يتكون في داخله « الوازع النفسي » الذي لا يفتأ عن مراقبته ومحاسبته في كل صغيرة وكبيرة .

وكل ذلك من أجل ردع الإنسان عن الإفساد ودفعه نحو العمل الصالح .

فالصلاة ـ مثلاً ـ عملية تطهير وإعداد .

يقول الله تعالى : ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** .

والفحشاء كل خرق للنظام الإنساني . . كما أن المنكر هو كل ما يضر بالفرد والمجتمع .

يقول رسول الله (ص) : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله إلا بعداً » .

من هنا فالصلاة التي لا تنتهي الى إعداد الإنسان الصالح فهي عملية إستعراضية لا معنى لها .

وكذلك الصوم الذي لا ينتهي بزرع التقوى (الوازع النفسي) في داخل الإنسان ، فهو تجويع سخيف للنفس .

يقول الرسول الأكرم (ص) : « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش وكم من قائم ليس من قيامه إلا السهر والتعب » .

*

ونجد في التأريخ أن النبي إبراهيم (ع) وبعد أن بنى الكعبة إتكأ على جدرانها ، وقال : الحمد لله . فأوحى الله (عز وجل) إليه :

ـ وماذا صنعت ؟

قال إبراهيم : بنيت بيتك .

قال الله : وهل أطعمت جائعاً ؟ وهل كسوت عرياناً ؟ .

*

ونجد في التأريخ الإسلامي أنه حدث مرة أن سافر النبي (ص) مع مجموعة من أصحابه الى صحراء ، نصفهم كان صائماً والنصف الثاني كان مفطراً . .

وعند الفطور تولى المفطرون إعداد الطعام للجميع ، باعتبار أن الصائمين يعانون عادة من الضعف . .

ولما أكل الجميع الفطور قال رسول الله (ص) مشيراً الى عملية إمداد الطعام : « لقد ذهب المفطرون بأجر الصائمين جميعاً » .

لماذا ؟

لأن المفطرون أتوا بالنتائج ، والصائمون كانوا يأتون بالأسباب ، بإعتبار أن الصوم طريق لخدمة الناس .

*

بناءاً على ذلك يتضح لنا ـ جيداً ـ أن الدين يدعو الى العمل الصالح ، وبالتالي فإن الذي يؤمن . . ويعمل صالحاً هو الذي يكون من الصالحين .

وهذا ما يجب أن يفكر فيه الآباء بالنسبة الى أبنائهم .

فلا يركن الوالدان الى الراحة والإطمئنان قبل أن يخلقا من إبنهما إنساناً مؤمناً ، ملتزماً بدين الإسلام ، يكون همه « العمل الصالح » وهدفه تحقيق الخير والصلاح للبشرية جمعاء .

ولهذا . . كانت التربية الدينية للأبناء أساساً لكل القضية التربوية ، ومن دونها لا يمكن أن نبني الإنسان الصالح ومن ثم المجتمع السليم .

الفصل الثاني

كيف تزرع الإيمان في طفلك ؟

ذات يوم مر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على مجموعة من الأطفال ، وبعد أن نظر إليهم قال : « ويل لأولاد آخر الزمان من آبائهم » !

فقيل :

يا رسول الله من آبائهم المشركين ؟

فقال :

لا . . من آبائهم المؤمنين ، لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض ، وإذا تعلموا أولادهم منعوهم ورضوا عنهم [في مقابل ذلك] بعرض يسير من الدنيا ، فأنا منهم بريء . . وهم من براء !!

من خلال هذا الحديث الشريف يتضح لنا حجم المسؤولية التي تقع على كاهل الآباء تجاه أبنائهم ، من حيث التربية والتعليم الديني .

وفيما يلي بعض الأحاديث ، وهي تؤكد وتُبرز الأهمية البالغة للتربية الدينية : يقول الرسول الأعظم (ص) :

« إن المعلّم إذا قال للصبي « بسم الله » كتب الله له ، وللصبي ، ولوالديه براءة من النار » . .

وكان عبد الرحمن السلمي يعلم ولداً للإمام الحسين سورة الحمد ،

فعندما قرأ الطفل السورة كاملة أمام والده ملأ الإمام (ع) فم معلّمه دراً بعد أن أعطاه نقوداً وهدايا .

فقيل له في ذلك - أي حينما تعجبوا من عطائه الجزيل - فقال عليه السلام : وأين يقع هذا من عطائه (يعني تعليمه) .

ويقول الإمام الحسن العسكري (ع) :

« إن الله (تعالى) يجزى الوالدين عظيماً [في الآخرة] فيقولان :

- يا ربنا إنى لنا هذا ولم تبلغها أعمالنا ؟

فيقول :

- هذا بتعليمكما ولدكما القرآن . . وبتبصيركما إياه بدين الإسلام » .

وتسأل : أي شيء من الدين يجب أن نعلّمه أبناءنا ، وكيف نزرع الإيمان في نفوسهم ؟ .

الجواب : أن الحديث عن التربية الدينية إنما هو حديث عن التعليم الديني من جهة ، وحديث عن السلوك وبناء الشخصية الصالحة من جهة أخرى .

وبناء على ذلك ، فإن الآباء ملزمون على تعليم أبنائهم المسائل الأولية للإسلام .

وأول شيء يجب أن يتعلّمه الأبناء من مسائل الدين الأمور التالية :

أولاً : أصول الدين الخمسة وهي : -

١ - التوحيد (الإعتقاد بأن الله واحد) .

٢ - العدل (الإعتقاد بعدالة الله عز وجل) .

٣ - النبوة (الإعتقاد بنبي الإسلام والأنبياء من قبله) .

٥ ـ الإمامة (الإعتقاد بالأئمة الإثنى عشر عليهم السلام) .

٦ ـ المعاد (الإعتقاد بيوم القيامة) .

ثانياً : فروع الدين العشرة وهي :

١ ـ الصلاة .

٢ ـ الصوم .

٣ ـ الخمس .

٤ ـ الزكاة .

٥ ـ الحج .

٦ ـ الجهاد .

٧ ـ الأمر بالمعروف .

٨ ـ النهي عن المنكر .

٩ ـ التولي (لأولياء الله) .

١٠ ـ التبري (من أعداء الله) .

ثالثاً : شرائع الإسلام .

رابعاً : الأحكام الإسلامية .

خامساً : حلال الله (عز وجل) وحرامه .

وكل ذلك بالطبع قد ورد شرحه وتفصيله في مؤلفات عديدة ، وهي متوفرة ، وفي متناول الجميع ولم يسعنا المجال ـ هنا ـ الى ذكرها وتكرارها ، وهي موجودة ـ أيضاً ـ في الرسائل العملية للعلماء والمجتهدين ، ومراجع الدين الأعلام .

سادساً : القرآن الكريم وتفسيره .

ويعتبر القرآن الكريم المصدر الفكري للدين الإسلامي ، كما أنه يعتبر الكتاب الذي جاء لصناعة الإنسان الصالح ، والأمة المؤمنة ، وهو هدى وبصيرة للمسلمين .

ومن هنا فإن تعليم القرآن الكريم للأبناء يُعتبر من الضرورات الأولية ، أو ليس هو الذي فيه تبيان كل شيء ؟ فلماذا إذن لا نعلمه أبناءنا منذ الطفولة الباكرة ؟ ولماذا لا نأمرهم بحفظ آياته البينات ؟

إن مساعدة بسيطة من الوالدين في وضع برنامج لأطفالهما وإيجاد الحوافز والمشجعات اللازمة يساهم بشكل كبير لئن يحفظ الأبناء القرآن الحكيم كله وهم في عقدهم الأول .

ولقد رأيت بعيني ـ في مسابقة لحفظ القرآن ـ إن طفلة مسلمة غير عربية كانت قد حفظت القرآن بأجمعه ، وهي لم تتجاوز بعد الثامنة من عمرها .

وليس هذا المطلوب وحسب ، بل يجب على الوالدين ـ أيضاً ـ أن يقدما القرآن لأطفالهما بصفته كتاباً ومنهجاً للحياة يتدبرون في آياته ، ويستخرجون منه الرؤى ، ويستلهمون منه الهدى في كل طرائق الحياة .

يقول الإمام (ع) في وصيته لإبنه الحسن (ع) :

« وإن إبتدئك بتعليم كتاب الله (عز وجل) وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه لا جاوز ذلك بك الى غيره » .

إذن فإن القرآن هو منهج التعليم والتربية الدينية ، وتعليمه يجب أن يكون قبل أي تعليم .

* * *

وبالطبع فإن كل ذلك يجب أن يُشيَّد على ركيزة أساسية وهي القواعد الثلاث التالية :

١ ـ تقويه الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) .

٢ ـ تقوى الله عز وجل ـ ، ويكون بالخوف من العقاب .

٣ ـ الشوق الى الجنة وحب الأجر والثواب .

يقول الله عز وجل : ﴿**وادعوه خوفا وطمعاً**﴾(١) .

ويقول عز وجل :

﴿**قل إني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**﴾(٢) .

كما أن الله (عز وجل) يخفونا من العقاب فيقول :

﴿**لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخّوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون**﴾(٣) .

ولذلك فإن أحاديث النار والجنة هي التي يجب أن تكون الرادع والدافع للأبناء الى المزيد من التقوى والعمل الصالح ، والإلتزام الصادق بالإسلام ، وبفرائضه وأحكامه وحلاله وحرامه .

* * *

تلك كانت الخطوط العريضة لبعض المسائل الدينية التي ينبغي تعليمها للأبناء .

أما السؤال الآن : كيف نزرع الإيمان في نفوس أبنائنا بصورة دائمة وعميقة ؟ .

والجواب : يكون ذلك عبر الطرق التالية :

١ ـ حبّب « الله تعالى » الى طفلك .

وذلك يكون عبر تبيين رحمة الله وفضله الواسع ، ورزقه الدائم ، وإمتنانه على الإنسان .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥

(٣) سورة الزمر آية ١٦ .

فليوضح الأب ـ مثلاً ـ فائدة الأسنان واليدين والرجلين وكل أعضاء الجسم ، ثم يقول لطفله أن الله (عز وجل) هو الذي أعطاك كل هذا !

وهكذا يتحدث معه حول الشمس والقمر ، والجبال ، والنبات ، وكل المخلوقات الأخرى ويبيّن فوائدها وخيراتها للإنسان والحياة ، ثم يقول له بأن الله (عز وجل) هو خالق كل ذلك ، وهو المعطي والمبديء والمعيد .

بهذه العملية وبطرق أخرى يستطيع الأبوان أن يربطا علاقة حب قوية بين أبنائهما وبين الله سبحانه وتعالى .

وإذا إنعقد الحب ـ حينئذٍ ـ ما علينا إلا أن نقول لأطفالنا إفعلوا هذا ولا تفعلوا ذاك ، لأن الحبيب (الله عز وجل) يريد منا أن نتخذ الأول وندع الثاني .

٢ ـ عود طفلك الإلتزام منذ الصغر .

إن تعويد الأبناء على الإلتزام الإيماني منذ الطفولة وقيامهم ببعض الفرائض مثل الصلاة وقراءة القرآن ، يساعد كثيراً في زرع الإيمان وتعميقه في نفوسهم عند الكبر .

ولذلك مجد أن الأحاديث الشريفة تؤكد على لزوم الصبي للصلاة منذ عامه السابع ، بالرغم من أن الصلاة إنما تجب عليه في سن الخامسة عشر .

عن معاوية إبن وهب قال : سألت أبا عبد الله في كم يؤخذ الصبي بالصلاة ؟

فقال « بين سبع سنين وست سنين » .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا » .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« إنا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم ، فإن كان الى نصف النهار [أو] وأكثر من ذلك أو أقل ، فإذا غلبهم العطش والغرث أفطروا حتى يتعودوا الصوم ، ويطيقوه ، فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع سنين بما أطاقوا من صيام ، فإذا غلبهم العطش أفطروا » .

٣ ـ بيّن العلل والأسباب .

قبل أن تقول لولدك : صل : قل له : لماذا الصلاة ؟ .

فالطفل حينما يندفع لإقامة الصلاة ـ أو أي فريضة أخرى ـ من تلقاء نفسه ، وبإيمان كامل بالصلاة فإنه يكون ـ حينئذ ـ أفضل بكثير مما لو أقام الصلاة خوفاً من العصى .

ويُذْكر ـ في هذا المجال ـ أن العلاّمة الحلي حينما وصل الى سن البلوغ ، ووجبت عليه الفرائض ، فرح فرحاً كبيراً ، وأقام حفلاً بهيجاً بالمناسبة . فهل يا ترى نربي أبناءنا حتى يكونوا كذلك ؟

٤ ـ كن القدوة لهم .

ليس هنالك من شيء يسارع في دفع الأبناء للإلتزام بالدين ، وتقوية العلاقة بالإيمان والفرائض الإسلامية بأفضل من أن يكون الأبوان القدوة والمثل الأعلى لأبنائهما .

وهذا شيء طبيعي . . فلو كان الأب متقاعساً عن إداء الفرائض ، وغير ملتزم بالحلال والحرام ـ آنئذٍ ـ لا نتوقع أبناءً إلا على هذه الشاكلة . وكذلك يكون العكس .

٥ ـ لا مساومة في مسائل الدين .

يقول الرسول الأعظم :

« علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها [فيما لو تركوا الصلاة] إذا بلغوا عشراً ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

على الأب العزيز أن يُشعر أبناءه بأن لا تنازل ولا مساومة هناك إتجاه أي تقصير في أداء الفرائض الدينية أو التكاسل عنها .

ولا يقولن قائل ـ في هذا المجال ـ إنا غير مستبد ، وأبنائي أحرار في إلتزامهم أو عدم الإلتزام !

صحيح أن الإسلام يقول : (لا إكراه في الدين) ولكن لو تركنا الأطفال حسب رغباتهم وأهوائهم لما مشى منهم أحد في الطريق المستقيم .

وليس ذلك في مسائل الدين فقط ، وإنما حتى في المسائل الأخرى ، أو ليس الطفل يتقاعس عن الدراسة فيما لو تُرك له الأمر حسب مزاجه ؟

٦ ـ تربية الأبناء على الروحانيات :

والروحانيات هي تلك القضايا التي تعمق في الأبناء الدوافع الدينية ، وتدفعهم نحو مزيد من العلاقة مع خالق السماوات والأرضين ، ومن ثم الى مزيد من التحرك والبناء وعمل الصالح .

وتتصدّر القائمة هذه ـ قائمة الروحانيات ـ وقضايا الجنة ونعيمها ، وقضايا النار وبؤسها وشقاءها وبعبارة أخرى : (الترغيب والترهيب) .

إن قضية الجنة والنار تثير كل كوامن الخير في نفس الإنسان ، وتدفعه نحو الإبتعاد من الفسق والعصيان ، والخيانة ، والمطلوب إستخدام هذه

الوسيلة لدفع الأبناء نحو مزيد من الإلتزام بالدين .

وبالطبع نحن لا نقصد بالروحيات تلك الممارسات الصوفية المنفصلة عن واقع الحياة ، والتي تجرد الإنسان ـ في الغالب ـ عن مسؤلياته الإجتماعية ، والتي يرفضها الإسلام حينما يؤكد بأنه : (لا رهبانية في الإسلام) و (رهبانية أمتي الجهاد) وإنما نقصد بالروحيات ـ إضافة الى وسيلة الترغيب والترهيب ـ الارتباط بالروافد الأصيلة للدين ، وتعميق الروابط الخفية بين الإنسان وبين الله (قوة الأزل والأبد) ، بشكل إيجابي وفعال .

إذ أن إرتباط الإنسان بالله يعني صقل نفسيته وعواطفه ومشاعره ، وبالتالي تصفيتها باتجاه حب الخير وحب المجتمع ، وبغض الشر ، والحقد على أعداء الإنسان ، وكل هذه تتحول الى عوامل دفع ، تخلق في الأبناء ديناميكية وحركة واندفاعة لا تتوقف .

وفي هذا المجال ينبغي توجيه الأبناء نحو :

ا ـ الأكثار من مطالعة القرآن الكريم ، ونهج البلاغة .

ب ـ قراءة المزيد من المواعظ والحكم الواردة في أحاديث النبي (ص) والأئمة الإثنى عشر (ع) ومطالعة الكتب الإسلامية .

جـ ـ أداء بعض الممارسات العبادية المندوبة مثل : صلاة الليل ، وبعض النوافل ، طبعاً مع إعطائهم التفسير الإيجابي للعبادة والصلاة .

د ـ توجيههم للعبادة نحو قراءة بعض الأدعية والتي تعمل على صقل روح الفرد وتنزيهها من عوامل التخلف والإستسلام والخضوع مثل الأدعية التالية :

ـ دعاء مكارم الأخلاق .

ـ دعاء أبو حمزة الثمالي .

ـ دعاء الصباح .

ـ دعاء كميل .

ـ زيارة الجامعة .

ـ دعاء الإفتتاح في شهر رمضان .

ـ أدعية الأيام .

ـ مناجاة الإمام علي (ع) .

هـ ـ ذكر الموت ، وأهوال القبر . . وزيارة القبور ، والذهاب الى العتبات المقدسة لزياة النبي ، والأئمة الأطهار ، وتعويدهم على الصلاة في المساجد والجوامع الكبيرة ، والصلاة جماعة .

و ـ الإطلاع على صفات المتقين ، ومحاولة تقمصها واكتسابها ، وهي موجودة في نهج البلاغة .

* * *

كان ذلك القسم الأول من التربية الدينية ، وأما القسم الثاني ، وهو الهدف المطلوب تحقيقه ، والنتيجة المراد الوصول إليها من كل التعاليم الدينية ، ألا وهي : « بناء الشخصية الصالحة » .

فالإسلام تربية قبل أن يكون تعليماً ، وهو سلوك عملي ، وليس مجرد طقوس فلكورية فارغة .

ولذلك يقول نبي الإسلام العظيم :

« إنما بُعثت لاتمم مكارم الأخلاق » .

والأخلاق : هي القيم والمثل الإنسانية العليا ، وهي سلوك الإنسان الصالح .

ولا يكتمل الإسلام بدون الأخلاق (الجانب التطبيقي للإيمان) كما لا تكتمل الدار إلا بتمام مرافقها من غرف وسطح ، وماء وكهرباء ، أما من يصلي ولا يصدق ، أو يحج ولا يؤدي الأمانة أو يأخذ بالأحكام دون إحترام حقوق الناس ، وما شابه ذلك فليس من الإسلام في شيء .

إن ما يريده الإسلام من الإيمان هو أن يوقظ في الإنسان الشعور بأنه « مراقَب » ليس من قبل إنسان مثله ، بل من قبل خالق الكون والحياة ، حتى يواظب على تحركاته في الخلوات والأجتماعات ، فيحدد سلوكه ، ويصقل شخصيته .

ولذلك أخطأ العالم عندما ظن أن بإستطاعته الإكتفاء عن الإيمان بالتقنية ، وأجهزة المراقبة ، وجهاز البوليس ، فكانت النتيجة أن أصبح الإنسان لا يتورع عن ظلم أخيه الإنسان واغتصاب حقوقه بلا أي وازع من الضمير والوجدان .

فالوزير قد يشرف على الوزارة وموظفيها ، ولكن من يشرف على الوزير ؟

قد تقول رئيس الوزراء . . ولكن من يشرف على رئيس الوزراء .

ـ البوليس يراقب الناس ، فمن يراقب البوليس ؟

ـ بوليس ثاني (ضد البوليسية) ؟ ـ فمن لهذا البوليس الثاني ؟ .

إن النظام الإجتماعي الصالح هو الذي يبني أسسه على الإيمان الصالح ، الذي يعمل كجهاز « منبّة » للضمير الإنساني ليمنعه عن الظلم والطغيان وكل تصرف سيء .

لقد فرض الإسلام « العبادات » التركيز « الإيمان » داخل النفس .

وهذا ما عناه الإسلام بقوله :

« إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر» .

وكما في « الصلاة » كذلك في « الصوم » كذلك في « الحج » كذلك في « الزكاة » . . للإسلام في عباداته أنبل الأهداف وأقدس المقاصد .

فالتربية الأخلاقية عند الإسلام تعني :

١ ـ إن الإسلام يراعى تربية الإنسان في كل صغيرة وكبيرة من تكاليفه وتشريعاته .

ب ـ إن برامج الإسلام التربوية تشمل الإنسان إبتداءاً من أول يوم يفتح عينيه على الأرض وإنتهاءاً بيوم دفنه تحت الجنادل .

ج ـ لا يقول الإسلام : « إكذب ثم إكذب حتى يصدقك الناس » بل يقول « لا يجد عبد طعم الإيمان ، حتى يترك الكذب هزله وجده » .

والإسلام يرى أن العدل ، والحق ، والأمانة أصول ثابتة لا تغُيرها الظروف ، أو البيئة أو المصالح .

* * *

والآن دعنا نطلع على مصادر الإسلام الأصلية ، لنستعرض بشكل خاطف ، البنود السلوكية التي لا يوجد لها مثيل في أي دين ، أو أيدلوجية ،

سواء السماوية منها أم البشرية . . وهي تعتبر بحق أكبر معمل لصناعة الإنسان المناقبي ، والشخصية الصالحة . . ذلك لأن بعضها جاء على لسان نبي الإسلام نفسه ، وبعضها الآخر جاء على لسان أوصيائه من « أهل البيت » عليهم السلام .

ونحن إذ نذكر النصوص التالية ، إنما لكي نؤدب أطفالنا ونربيهم وفقهاً ، حتى يكونوا كما يريدهم الإسلام ، مؤمنين صالحين .

وإليكم فيما يلي نصوص من ذلك النبع الإسلامي الفياض :

● إحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك .

● ملعون ملعون من وضع كله على الناس .

● لا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا من رفعته الدنيا .

● من حب الرجل دينه حبه لأخوانه .

● إذا أردت أن تقر عينك وتنال خير الدنيا والآخرة ، فاقطع الطمع عما في أيدي الناس وعد نفسك في الموتى ، ولا تحدثن نفسك إنك فوق أحد من الناس . . واخزن لسانك كما تخزن مالك .

● ولا تغتب فتُغتب ، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنك كما تُدين تُدان .

● من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه .

● من إستبد برأيه هلك .

● المؤمنون خدم بعضهم لبعض . . نفقتهم بعضهم لبعض .

● قل الحق وإن كان مراً .

● الغضب مفتاح الشر .

● المؤمن بُشره في وجهه ، وحُزنه في قلبه ، أوسع شيء صدراً .

● المؤمن دعب لعب ، والمنافق قطب غضب .

● رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبب الى الناس .

● المسلم أخ المسلم . . إذا قال الرجل لأخيه : أف . . إنقطع ما بينهما من ولاية ، فإذا قال أنت عدوي فقد كفر أحدهما ، فإذا إتهمه أنماث في قلبه الإيمان كما ينماث الملح في الماء .

● وإياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

● إياكم والطمع ، فإنه هو الفقر الحاضر .

● إياكم والكبر ، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم ، وإياكم والحرص ، فإن آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة ، وإياكم والحسد ، فإن إبني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً ، فهن أصل كل خطيئة .

● إياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل ، ولا يعد الرجل صبيه لا يفي له وإن الكذب يهدي الى الفجور ، وإن الفجور يهدي الى النار . وإن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة .

● إياك وخصلتين : الضجر والكسل ، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق ، وإن كسلت لم تؤد حقاً .

● إياك وقرين السوء فإنك به تعرف .

● أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

● إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك يعمهم الله بعقاب منه .

● إن موجبات المغفرة بذل السلام ، وحسن الكلام .

● إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم .

● إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وألطفهم باهله .

● إن من أعظم الخطايا ، من إقتطع مال إمريء مسلم بغير حق ، وإن من الحسنات عيادة المريض .

● عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالأنعام عليه .

● أكبر العيب : أن تعيب ما فيه مثلك .

● إن الله تعالى يحب من عبده إذا خرج الى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل .

● إن الله تعالى يبغض الوسخ والشعث .

● إن الله يبغض البخيل في حياته ، والسخي عند موته .

● إن الله تعالى يبغض المعبسّ في وجوه إخوانه .

● إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ، ويعطي عليه ما لا يعطى على العنف .

● الإسلام نظيف ، فتنظفوا ، فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف .

● أشد الناس عذاباً يوم القيامة : عالم لا ينفعه علمه .

● أذل الناس من أهان الناس .

● إذا كان إثنان يتناجيان فلا تدخل بينهما .

● بئس العبد أن يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطرى أخاه شاهداً ويأكله غائباً ، إن أُعطي (أخوه) حسده وأن إبتلي خذله .

● من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة ، ومن ضيع حق جاره فليس منا .

● إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفاسفها .

● إن الله يسأل العبد عن جاهه [المكانة الإجتماعية] كما يسأل عن ماله وعمره ، فيقول :

جعلت لك جاهاً ، فهل نصرت به مظلوماً ؟ أو قمعت به ظالماً ؟ أو أعنت به مكروباً ؟ .

● إن الله يحب البصر الناقد ، النافذ عند مجيء الشهوات ، والكامل عند نزول الشبهات يحب السماحة ولو على تمرة ، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية .

● إن الله عز وجل أحب الكذب في الصلاح ، وأبغض الصدق في الفساد .

● إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .

● إن الله تعالى يبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له .

قيل : مَن المؤمن الذي لا دين له ؟ .

فأجابب : « الذي لا ينهي عن المنكر » .

● إن يومك ضيفك ، وهو مرتحل . . يمدحك أويذمّك

إن هذه الأحاديث التي تتعرض لكل صغيرة وكبيرة فتذكر حتى مثل مناجاة نفرين ، والوسخ وعتاب الأخ ، إنما تهدف بناء الإنسان في كل جوانبه ، بحيث لا تبقى هناك ثغرة واحدة يمكن أن يدخل منها الشيطان ، أو ينحرف به المنحرفون .

وما ذكرناه هو واحد من المليون ، من الروايات التي تتحدث عن الجوانب السلوكية في الإنسان .

* * *

وتبقى على الوالدين مسؤلية طرد الصفات السلبية القاتلة ، وعدم السماح لها بالمكوث داخل نفوس الأبناء وقلعها بسرعة فيما لو كانت قد حطت بظلالها القاتل .

هذه الصفات قد تبدو بسيطة ، ولكنها كالنار ، يمكن أن تحرق في الطفل روح التفاؤل والحركة ، والعمل ، فيعيش معها ثلاثين أو أربعين عاماً من غير أن يستطيع إنجاز أي شيء فيولد إنساناً ويموت حشرة .

فما هي تلك الصفات ؟ .

أولاً ـ الجهل .

يقول الإمام علي (ع) :

« لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميزان كالأدب » .

ويقول الإمام الرضا (ع) : « صديق كل مريء عقله ، وعدوه جهله » .

ثانياً ـ الجبن والخجل .

يقول الإمـام علي (ع) :

« قُرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان » .

وجاء في الحديث الشريف :

« إن الله يحب الرجل الشجاع ولو بقتل حية » .

ثالثاً ـ الإنسياق وراء الشهوات .

خلق الله في الإنسـان شهوات كثيـرة وجعلهـا عـامـل بنـاء ، وحـذر من الإنسياق ورائها حتى لا تتحول الى عامل هدم . .

والشهوات مثل برميل البارود ، إذا فجرها الإنسان فإنها ستدمر كل ما هو قريب منها بلا تمييز .

رابعاً ـ الحقد .

قال الرسول الأكرم (ص) :

« مـا كان جبـرئيل يـأتيني إلا قال :يا محمد إتق شحناء الرجال وعداوتهم » .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« من زرع العداوة حصد ما بذر » .

خامساً ـ التسرع .

جاء في الحديث الشريف :

« العجلة من الشيطان والتأني من الرحمان » .

سادساً ـ التشاؤم .

بعض الناس يصابون بالتشاؤم في وسط الطريق ولذلك فإنهم سرعـان ما يتراجعون عن خططهم فيخسرون الأوقات والجهود بلا مبرر .

والمتشـائم ، يفوّت على نفسـه فرصـاً كثيرة تكـون متاحـة لنجاحـه ، أو نجـاح خططه ، ولكنـه بحكم تشاؤمـه يرى الأشيـاء والأشخاص ـ وربمـا نفسه أيضاً ـ في دائرة سوداء ، ولذلك فإنه لا يستطيع أن يضع خطة إلا للتراجع الى الوراء .

سابعاً ـ سرعة الغضب .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل » .

ويقول :

«من لم يملك غضبه لم يملك عقله » .

ويقول الإمام علي (ع) :

« ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك » .

ثامناً ـ التكبر .

يقول الله عز وجل :

﴿ولا تصعّر خدك للناس ، ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله » .

ويقول :

« إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبّرين فتكبروا عليهم » .

تاسعاً الحسد .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

يقول الإمام الصادق (ع) :

« الحاسد مضر بنفسه قبل أن يكون مضراً بالمحسود » .

والحسد : يعني السعي من أجل إزاحة ما على الأخرين من النعّم .

عاشراً ـ عدم الطاعة .

يقول الحديث :

« هلك من لم يكن له واعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه » .

وجاء في الحديث أيضاً :

« من إستبد برأيه هلك » .

إن الأبناء المتمردين يحاولون في كل وقت أن يثبتوا تفوقهم عن طريق التمرد ، فهم لا يتآلفون ، ومن ثم فلا يتأتى للآباء هدايتهم الى الطريق المستقيم .

* * *

تلك كانت عشرة صفات سلبية يكون من السهل على الآباء الكرام طردها من نفوس أبنائهم والتخلص من شرها ، فيما لو بينوا قليلاً مضارها

ونتائجها السيئة ـ على الإنسان ـ لأطفالهم وخلقوا فيهم الحصانة الحديدية تجاهها .

ومن جهة أخرى ـ بالطبع ـ يقوموا بعرض الصفات النبيلة المقابلة لتلك الصفات ، والتحدث عن نتائجها الحميدة ، وما تدر من خير وبركة واسعة على الإنسان .

هذا وفي الفصل التالي ستجد ـ أيها القارىء العزيز ـ أفضل الوصايا الحياتية ، التي ينبغي أن ندرسها ، ومن ثم لنقدمها الى أبنائنا من أجل العمل والتطبيق في كل أمور الحياة .

الفصل الثالث

الوصايا الذهبية

إذا أحسست بالرغبة أو الحاجة ، في نصح أبنائك ، وتقديم الوصايا الحياتية لهم ، أرجو منك ـ قبل ذلك ـ أن تقرأ وتدرس هذه الوصايا الذهبية الخالدة . . إنها وصايا قدمها أعظم قائد في الإسلام بعد الرسول (ص) ، وهو الإمام علي (ع) ، وقد قدمها لأبنه الإمام الحسن بعد معركة صفين . . ولعل سر عظمتها وخلودها أنها تنبع من وحي الرسالة الإلهية ، وتفيض بالتجارب في كل كلمة منها ، وتورق بالحكمة في كل عبارة من عباراتها . . ما زالت الوصايا تنشر منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام ، ويعاد نشرها في مئات الكتب والدراسات التربوية في طول البلاد وعرضها .

كما أنها ترجمت الى عدة لغات أجنبية ، وأُلقيت في المحاضرات والمجالس ، ومن فوق أعواد المنابر وأُذيعت على أمواج الأثير في مناسبات عديدة . وتعتبر من جملة الوصايا المهمة في كتاب نهج البلاغة ، وهي بحق أفضل وصايا قدمها أب لأبنه على مدى التاريخ . . وقيمتها أنها لازالت تنضح بالحيوية والفائدة بالرغم من قدمها ، ومرور القرون والدهور عليها .

والآن لنطلع على جواهرها ، ومضمونها العميق بكل تفكر ، وتدبر ، وهي بالطبع ليست للأبناء فقط ، وإنما لكل إنسان في هذه الحياة ، حيث يقول الإمام علي (ع) :

« من الوالد الفان . .

المقر للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، والظاعن عنها غداً . . الى المولود المؤمل ما لا يدرك . .

السالك سبيل من قد هلك ، غرض (هدف) الأسقام ، ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات (العلل) وصريع الشهوات ، وخليفة الأموات .

أما بعد . .

فإن فيما تبينت من أدبار الدنيا عني ، وجموح الدهر (تغلبه) علّي ، وإقبال الآخرة إليّ ، ما يزعني (يكفني) عن ذكر من سواي ، والإهتمام بما ورائي غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي ، فصدفني (صرفني) رأيي ، وصرفني عن هواي ، وصرح لي محض أمري ، فأفضى لي الى جدٍ لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشربه كذب .

ووجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني ، وكأن الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت إليك كتابي مستظهراً (مستعيناً) به أن أنا بقيت لك أو فنيت .

* * *

فإني أوصيك بتقوى الله ـ أي بُني ـ ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والإعتصام بحبله ، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله أن أنت أخذت به !

أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوة باليقين ، ونوره بالحكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ، وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين . .

وسر في ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا ، وأين حلوا ونزلوا ! فإنك تجدهم قد إنتقلوا عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم . .

فاصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والخطاب فيما لم تُكلف ، وامسك عن طريق إذا خفت ضلالته ، فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال .

*

وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وانكر المنكر بيدك ولسانك ، وباين (باعد) من فعله بجهدك ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .

وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه في الدين ، وعود نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخُلق التصبر في الحق ! والجىء نفسك في أمورك كلها الى إلهك ، فإنك تلجئها الى كهف حريز ، ومانع عزيز .

واخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان وأكثر إستخارة (جالة الرأي) وتفّهم وصيتي ، ولا تذهبن صفحاً ، فإن خير القول ما نفع ، واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه .

*

أي بُني . . إني لما رأيتني قد بلغت سناً ، ورأيتني أزداد وهنا ، بادرت بوصيتي إليك ، وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أُجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي ، أو أن أنقص في رأي كما نُقصتُ في جسمي أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب النفور (الفرس غير المذلل) وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته .

فبادرتك بالأدب قل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك ، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته (طلبه) وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

*

أي بُني . . إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم ، حتى عدت كأحدهم ، بل كأني بما أنتهي إليّ من أمورهم قد عُمّرت مع أولهم الى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره .

فاستخلصت لك من كل أمر نخيلة (المصفّى) وتوخّيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق ، واجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومُقتبل الدهر ، ذو نية سليمة ، ونفس صافية ، وأن إبتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك الى غيره .

ثم أشفقت (خفت) أن يلتبس عليك ما إختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي إلتبس عليهم ، فكان إحكام ، ذلك على ما كرهت من تنبيهكَ له أحب إليّ من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة ، ورجوت

أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك فعهدت إليك وصيتي هذه .

*

واعلم يا بُني . . أن أحبَّ ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله . . والإقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك ، والصالحون من أهل بيتك ، فإنهم لم يَدَعوا إن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك الى الأخذ بما عرفوا ، والإمساك عما لم يكلفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك أن تَعَلَم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، ولا بتورط الشبهات ، وعُلَقَ الخصومات .

وابدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة بإلهك ، والرغبة إليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أو لجتك في شبهة ، أو أسلمتك إلي ضلالة ، فإن أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك في ذلك هماً واحداً ، فانظر فيما فسّرتُ لك ، وإن لم يجتمع لك ما تحب في نفسك ، فراغ نظرك وفكرك ، فاعلم نك إنما تخبط العشواء (الناقة الضعيفة البصر) وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خَبَطَ أو خلط ، والإمساك عن ذلك أمثل .

فتفهم يا بُني وصيتي . .

واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وإن الخالق هو المميت ، وإن المُفني هو المعيد ، وإن المبتلي هو المعافي ، وإن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء ، والإبتلاء ، والجزاء في المعاد ، أو ما شاء مما لاتعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك ، فإنك أول ما خُلقت به جاهلاً ثم عُلمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ،

ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك !

فاعتصم بالذي خلقك ورزقك ، وليكن له تعبدك وإليه رغبتك ، ومنه شفقتك .

*

واعلم يا بُني . . أن أحداً لم ينبيء عن الله كما أنبأ عنه الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ فارض به رائداً ، والى النجاة قائداً ، فإني لم آلك (لم أقصر) نصيحة ، وأنك لن تبلغ في النظر لنفسك ـ وإن إجتهدت ـ مبلغ نظري لك .

واعلم يا بُني . . إنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار مُلكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، ولا يُضاده في ملكه أحد ، ولا يزولُ أبداً ولم يزل .

أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية ، عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر ، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره (قدره) وقلة مقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته الى ربه ، في طلب طاعته ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من سخطه : فإنه لم يأمرك إلا بحسن ، ولم ينهك إلا عن قبيح .

*

يا بُني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أُعد لأهلها فيها ، وضربت لك فيهما الأمثال ، لتعتبر بها ، وتحذو عليها .

إنما مثل من خبر الدنيا (عرفها كما هيّ) كمثل قوم سفر (مسافرون) نبا بهم منزل جديب (لاخير فيه) فأموا (قصدوا) منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً

(كثير العشب) فاحتملوا وعثاء (مشقة) الطريق ، وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون من ذلك ألماً ، ولا يرون نفقة فيه مغرماً ، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم ، وأدناهم من محلتهم .

ومثل من إغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب ، فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيهِ ، إلى ما يهجمون عليه ، ويصيرون إليه .

*

يا بُني . .

إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلمَ ، واحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وأن قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الإعجاب (إستحسان ما يصدر عن النفس) ضد الصواب ،

وآفة الألباب ، فاسع في كدحك ، ولا تكن خازناً لغيرك ، وإذا أنت هُديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك .

*

واعلم أن أَمامَك طريقاً ذا مسافة بعيدة ، ومشقة شديدة ، وأنه لا غنى بك فيه عن حسن الإرتياد (إتيانه من وجه) ، وقدْرِ بلاغِك (الكفاية) من الزاد ، مع خفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقل

ذلك وبالاً عليك ، وإذا وجدت من أهل الفاقة (الفقر) من يحمل لك زادك الى يوم القيامة ، فيوافيك به غداً حيث تحتاج ليه فاغتنمه وحمّله إياه .

واكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده ، واغتنم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك .

واعلم أن أَمامَك عقبة كؤودا (صعبة) ، المخُفُ فيها أحسن حالاً من المُثقل ، والمبطىء عليها أقبح حالاً من المسرع ، وإن مهبطك بها لا محالة أما على جنة أو على نار ، فارتد (أبعث رائداً من طيبات الأعمال) لنفسك قبل نزولك ، ووطىء المنزل قبل حلولك ، « فليس بعد الموت مستعتب » ولا إلى الدنيا مُنصرفَ .

*

واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء ، وتكفل لك بالإجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يُلجئك إلى من يشفع لك إليه ، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، ولم يُعيّرك بالأنابة (الرجوع) ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى ، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ، ولم يُناقشك بالجريمة ولم يُؤيسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك (رجوعك) عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشراً ، وفتح لك باب المثاب ، وباب الإستعتاب ، فإذا ناديته سمع نداك ، وإذا ناجيته علم نجواك (المكالمة سراً) فأقضيت (ألقيت) إليه بحاجتك ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت إليه همومك ، واستكشفته كروبك (طلبت كشف همومك) ، واستعنته على أمورك .

وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة

الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق .

ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته ، فمتى شئت إستفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب (دفعات المطر) رحمته ، فلا يقنطك إبطاء إجابته ، فإن العطية على قدر النية ، وربما أُخرت عنك الإجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل العطاء الآمل .

وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً ، أو صُرف عنك لما هو خير لك ، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، ويُنفى عنك وباله ، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له .

*

واعلم يا بني !

إنك إنما خُلقت للآخرة لا للدنيا . .

وللفناء لا للبقاء .

وللموت لا للحياة . .

وأنت في قُلعة (لا يدري مى ينتقل عنه) ودار بلغه (الكفاية) وطريق إلى الآخرة ، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه، ولا بد أنه مدركه ، فكن فيه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة ، قد كنتَ تُحدثُ نفسك منها بالتوبة ، فيحول بينك وبين ذلك ، فإذا أنت قد أهلكت نفسك .

*

يا بُني !

أكثر من ذكر الموت ، وذِكر ما تهجم عليه ، وتفضي بعد الموت إليـه ، حتى يأتيك وقد أخذت منـه حَذرك ، وشـددت له أزرك ، ولا يأتيك بغتة فيبهرك (يغلبك على أمرك) .

وإياك أن تفتر بما ترى من إخـلاد أهل الـدنيا إليهـا ، وتكالبهم عليهـا ، فقد نبأك الله عنها ، ونعت هي لك عن نفسها ، وتكشفت لك عن مسـاويها ، فإنما أهلها كلاب عاوية ، وسباع ضارية ، يهر (ينبح) بعضها على بعض ، ويأكل عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها ، نعم (إبل) معقلة (مشـدودة) وأخرى مهملة ، قد أضلت عقـولها ، وركبت مجهـولها (طـريقها المجهـول) سُروح (المال السارح من إبل ونحوها) عاههة (يسرحون لرعي الآفات) بـوادٍ وعث (رخو) ، ليس لها راع يقيمها ، ولا مُسيم يُسيمها .

سلكت بهم الدنيا طريق العمى ، واخذت بأبصارهـم عن منـار الهدى ، فتاهوا في حيرتها ، وغـرقوا في نعمتها، واتخذوها رباً فلعبت بهم ولعبوا بهـا ، ونسوا ما وراءها .

رويداً يُسفر الظلام ، كأن قد وردت الأظغان (الهودج للسفر) ، يوشك من أسرع أن يَلحَق ! .

واعلم يا بُني ! أن من كانت مطيته الليل والنهار ، فانه يسار به وأن كـان واقفاً ، ويقطع المسافة وأن كان مقيما وادعا .

واعلم يقينا أنك لن تبلغ املك ، ولن تعدو أجلك ، وأنك في سبيل من كـان قبلك فخفض (ارفق) في الطلب ، واجمـل في المكتسب ، فـانـه ربّ طلب قـد جـر الى حـــرب ؛ فليس كـل طــالب مـرزوق ، ولا كـــل مُجمـلٍ بمحروم ، وأكرم نفسـك عن كل دنيـة (حقيرة) وإن سـاقتك إلى الـرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا (بدلا) .

ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً .

وما خيرُ خيرٍ لا ينال إلا بشر ، ويُسر لا يُنال إلا بعسر ؟!

وإيـاك أن تُوجف (تسـرع) بك الـطمع فتـوردك منـاهـل الهلكـة ، وأن استـطعت ألا يكون بينـك وبين الله ذو نعمة فـافعل ، فـإنك مـدرك قسمـك ، وآخذ سهمك ، وأن اليسيـر من الله أعظم واكـرم من الكثير من خلقـه وان كان كلٌ منه .

وتلافيك ما فرط (قصر عن افادة الغرض) من صمتك أيسر من أدراكك ما فات من منطقك ، وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء (الرباط) وحفظ مـا في يديك أحب إلي من طلب ما في يدي غيرك .

ومـرارة اليأس خيـر من الطلب إلى النـاس ، والحرفـة مع العفـة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره !

من أكثر أهجر (هذي) ومن تفكر أبصر .

قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن (تبعد) عنهم ، بئس الطعام الحرام !

وظلم الضعيف أفحش الظلم !

إذا كان الرفق خرقا (عنفا) كان الخرق رفقا .

ربما كان الدواء داء ، والداء دواء .

وربما نَصَحَ غير الناصح ، وغش المستنصح .

وايـاك والاتكال على المنى فـانها بضـائع النـوكى (الحمقى) ، العقـل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك .

بادر الفرصة قبل أن تكون غصة .

ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يؤوب .

ومن الفساد إضاعة الزاد ، ومفسدة المعاد .

ولكل أمر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدر لك .

التاجر مخاطر ، ورب يسير أنمى من كثير !

لا خير في مُعين مهين (حقير) ولا في صديق ظنين .

ساهل الدهر (خذ حظك منه بسهولة) ماذل بك قعوده . ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ، وإياك أن تجمع بك مطية اللجّاج (الخصومة) .

إحمل نفسك من أخيك عند صرمه (قطيعته) على الصلة ، وعند صدوده (الهجر) على اللطف والمقاربة ، وعند جموده (بخله) على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك .

وإياك وأن تضع ذلك في غير موضعه ، أو أن تفعله بغير أهله .

لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك ، وامحض أخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرع الغيظ ، فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ، ولا ألذ مغبة .

ولن لمن غالظك ، فإنه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل فأنه أحلى الظفرين ، وأن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها أن بدا له ذلك يوما ما .

ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما

بينك وبينه ، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه .

ولا يكن أهلك أشقى الخلق بـك ، ولا تـرغبين فيمن زهـد عنك ولا يكونن أخوك أقـوى على قطيعتك منك على صلتـه ، ولا تكونن على الأسـاءة منك على الأحسان .

ولا يكبـرن عليك ظلم من ظلمك ، فانـه يسعى في مضرتـه ونفعك ، وليس جزاء من سرك أن تسوءه .

واعلم يا بني !

إن الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن أنت لم تأته أتاك .

ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى !

إنما لك من دنياك ما أصلحت له مثواك (منزلتك في الآخرة ، وان كنتَ جـازعا على مـا تغلّت (تملص) من يديـك ، فاجـزع على كـل مـا لم يصـل إليك .

إستدل على ما لم يكن بما قد كان ، فإن الأمور اشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظمة إلا إذا بالغت في إيلامه ، فإن العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب .

إطـرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين .

من تـرك القصـد (الأعتـدال) جـار (مـال عن الصـواب) والصـاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوى (الشهوة الغير منضبطة) شـريك العمى .

ورب بعيد أقرب من قـريب ، وقريب أبعـد من بعيد ، والغـريب من لم يكن له حبيب .

من تعدى الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له .

واوثق سبب أخذتَ به سبب بينك وبين الله سبحانه .

ومن لم يبالك (يعتني) فهو عدوك ، قد يكون اليأس ادراكا ، اذا كان الطمع هلاكا .

ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الاعمى رشده .

أخر الشر فانك اذا شئت تعجلته (استبقت حدوثه) وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .

من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه (هانه) أهانه .

ليس كل من رمى أصاب ، إذا تغير السلطان تغير الزمان .

سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا ، وأن حكيت ذلك عن غيرك .

وإياك ومشاورة النساء فان رأيهن إلى أفن (نقص) وعزمهن الى وهن (ضعف) واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب أبقى عليهن ، وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن ، وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل .

ولا تُملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة .

ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تُطمِعها في أن تشفع لغيرها .

وإيـاك والتغايـر في غير مـوضع غيـرة فـان ذلـك يـدعـو الصحيحـة الى السقم ، والبريئة الى الريب ، واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخـذ به ، فانه أحرى الا يتواكلوا في خدمتك .

واكـرم عشيرتـك ، فانهم جنـاحك الـذي تطيـر به ، واملكَ الـذي اليـه تصير ، ويدك التي بها تصول .

أستـودع الله دينـك ودنيـاك ، وأسـألـه خيـر القضـاء لـك في العـاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة ، والسلام .

محمد الكاتب

كربلاء المقدسة ٢ / ٤ / ١٤٠٨

الفهرس